جـامعة الدكتـور يحي فـارس بالمديـة

كلية العلـوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

المواجهة الأوروبية المصرية في عهد محمد علي 1220-1265هـ/1805-1849م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعـداد الطالبتين:

- صفية زوليخة
- خديجة حسناوي

تحت إشـراف

د. نادية طرشون

السنة الجامعية: 1436-1437هـ /2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان

عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم آية 7

نشكر الله العلي القدير الذي رزقنا نعمة العقل ووهبنا التفكير وحسن التوكل عليه، ورزقنا من العلم ما لم نكن نعلم، والذي سهل لنا السبيل لانجاز هذا العمل المتواضع.

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى:

الدكتورة الفاضلة : نادية طرشون على إشرافها وتتبعها لانجاز هذه المذكرة وتشجيعها لنا لإنهائها، مقدمة لنا كل النصائح والتوجيهات اللازمة منذ مشوارنا الجامعي إلى اليوم.

كما نتقدم بالشكر الموصل إلى الدكتور المحترم الغالي غربي الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته القيمة، كما نشكر أساتذة قسم التاريخ كل باسمه ودرجته، وإلى الأستاذة ابتسام سبتي التي ساعدتنا في ترجمة النصوص الانجليزية، والى كل من ساهم من قريب وبعيد في إتمام هذه الدراسة.

إهداء

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أبي والجدي الطاهرة واسأل الله أن لا يحرمني من لقاءهما في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

إلى من حملتني وهنا على وهن وقادتني إلى حيث أنا أمي الحنونة التي لم تبخل علي يوما بدعائها أطال الله في عمرها.

إلى الجدة الغالية أمد الله في عمرها وخالتي زهية وإلى كل العائلة العارف.

والى إخوتي سفيان وعبد السلام وأختي الغالية نجوى وابنتها خديجة حفظها الله.

إلى صديقاتي رفيدة وطاوس وخديجة وفاطمة الزهراء وحورية ونورالهدى وسمية وراضية.

إلى حبيباتي في مسجد الفتح بالبرواقية.

إلى من في قلبي وأنساهم قلمي...

صفية

إهداء

اهدي ثمرة جهدي:

إلى اعز ما لدي في الوجود إلى من أكن لهما أعظم المحبة والتقدير

إلى من قال فيهما عز وجل: "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما" والدي الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى من تجمعني بهم أنبل المشاعر إلى من شعرت معهم بدفء الوجود إخوتي:

نسيبة، نعيمة، رفيقة، تفاحة، زهير، مراد.

إلى كل زميلاتي وزملائي لاسيما طلبة ماستر دفعة 2015/ 2016.

إلى من قاسمتني هذا العمل وتحملتني طوال 4 سنوات "صفية".

....وفي الأخير إلى قرائنا الأعزاء بدون الاستثناء.

إلى كل هؤلاء اهدي عملي المتواضع هذا راجية من الله أن يحقق مساعينا وأمالنا بإذنه تعالى.

خليجة

قائمة المختصرات:

أ- بالعربية:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
تن	تنقيح
ج	جزء
ح	حلقة
د ب	دون بلد
د ت	دون تاريخ
د د ن	دون دار النشر
د ط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
مج	مجلد
مر	مراجعة
هـ	هجري

ب- بالأجنبية:

Sans date	SD
Editions	E
Page	P
Sans Edition	SE
Tome	T
Volume	V

المقدمة

أصبحت مصر منذ القرن **16**م أهم الأقاليم العربية العثمانية لما تتمتع به من موقع استراتيجي جعلها همزة وصل بين الشرق والغرب وهذا ما ترك الأستانة توليها أهمية كبيرة. إلا أن ضعف الدولة العثمانية كانت له تداعيات سلبية على مكانة مصر المحورية في السياسية العثمانية، وهذا مرده إلى الظروف الداخلية والخارجية منها عدم الاستقرار السياسي، مما جعلها محل أطماع الدول الأوروبية، وتعتبر الحملة الفرنسية إذانا لمرحلة تاريخية جديدة في تاريخ مصر الحديث.

ازداد الاهتمام الأوروبي بمصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر بظهور **محمد علي باشا** واليا عليها في **1805**م، واعتماده على التجربة التحديثية المستمدة من الغرب، وانتهاجه سياسة خارجية توسعية نحو السودان والجزيرة العربية واليونان وسورية من أجل بناء دولته الحديثة.

وأضحت مصر مسرحا للصراع الدولي نتيجة السياسة الخارجية التي اتبعها **محمد علي باشا**، ممّا جعلها تصطدم مباشرة بالمصالح الأوروبية في الشرق الأوسط وتؤثر على موازين القوى. الأمر الذي دفعها إلى إعلان مواجهتها لقوة **محمد علي باشا** التي تفاقم أمرها وتحولت إلى ما عرف آنذاك بالمسألة المصرية، وقررت القوى الأوروبية وضع حد لهذه الأخيرة مدعية حفاظها على أملاك الدولة العثمانية التي كانت بمثابة نقطة مهمة لسلامة الأمن الدولي لتحقيق مصالحها.

هكذا ضاعت مشروعات **محمد علي باشا** –التحديثية والتوسعية– التي طالما سعى لتحقيقها أمام سياسات الدول الأوروبية عامة —بريطانيا خاصة– التي بدأت منذ عام **1798**م تهتم بشرقي البحر المتوسط، جاهدة على تقزيم **محمد باشا علي** في ولاية مصر، لكن رغم هذه النتائج المحققة إلا أنها فقدت تحكمها فيها تحكما تاما.

إن الدور الإقليمي والدولي الذي لعبته مصر في النصف الأول من القرن التاسع جعلها تواجه أكبر الدول الأوروبية، ولأجل ذلك جاء بحثنا معنونا كالتالي "**المواجهة الأوروبية المصرية في عهد محمد علي باشا 1220–1265هـ/ 1805–1849م**"، وتم اختيار الإطار الزماني للموضوع المحدّد بالقرن **19**م بداية بسنة **1805**م التي تمثل عهد "**محمد علي باشا**" وأهم إصلاحاته وسياسته التوسعية التي لم تتماش مع السياسة الدولية، وختمنا بمعاهدة لندن **1840**م وانعكاساتها على "**محمد علي باشا**" ومصر إلى غاية وفاته، أما الإطار المكاني فكان الجزء الشرقي للبحر المتوسط.

دواعي اختيار الموضوع:

من بين أهم دواعي اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي:

– محاولة التعرف على ملامح شخصية "**محمد علي باشا**" وإبراز أهم إنجازاته التي حققها في فترة وجيزة من الزمن.

–إبراز استراتيجية التوسع التي انتهجها "**محمد علي باشا**" في النصف الأول من القرن التاسع ومعرفة رد فعل الدول الأوروبية تجاه سياسته التوسعية.

–مصير "**محمد علي باشا**" أمام تسوية الدولية.

أهمية الدراسة:

تكمل أهمية هذه الدراسة في كونها شكلت مرحلة من أهم مراحل التاريخ المصري الحديث، ففي فترة "**محمد علي باشا**" الذي أسس الدولة الحديثة، وشيّد الدعائم الكفيلة لقيامها، ووضع أسس النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد، وحقق انتصارات في حروب خاض غمارها من هضبة حبشة جنوبا إلى ضواحي قونية شمالا أثر على موازين القوى الدولية، مما جعل الدول الأوروبية تقف أمام سياسته الخارجية وبالتالي دفع مصر إلى المواجهة الفعلية ضد الدول الغربية.

إشكالية البحث:

ويقوم موضوع دراستنا على إشكالية رئيسية هي: كيف كانت **طموحات علي باشا** سببا في إدخال مصر حلبة الصراع الدولي في النصف الأول من القرن التاسع عشر ؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية يجب التطرق إلى عدد من التساؤلات منها:

–كيف تجلت مكانة مصر في نظر الأوروبيين قبل عصر **محمد علي باشا** ؟

–كيف استطاع **محمد علي باشا** أن يصل إلى الحكم ؟ وما هي أهم الإصلاحات والتوسعات التي اتبعها اتجاه مصر؟

– ما هي مواقف الدول الأوروبية من سياسة **محمد علي باشا** التوسعية ؟

- ما هو الوضع الذي آلت إليه مصر بعد معاهدة لندن سنة 1840م ؟

المنهج المتبع:

تناولنا في طرحنا هذا المنهج التحليلي الوصفي المعتمد أساسا على وصف مكانة مصر في عيون الرحلات الأوروبيين ومختلف المجالات التي تم إصلاحها من طرف محمد علي باشا، وتحليل أثار بعض الإصلاحات على السياسة الدولية وكذا تحليل مواقف المواجهة الأوروبية من التوسعات التي خاض غمارها "**محمد علي باشا**".

الخطة المتبعة:

فقد ارتأينا لتقسيم رسالتنا إلى مقدمة، ثلاثة مباحث مشفوعة بخاتمة.

بحيث تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، دواعي اختيار الموضوع، أهمية الدراسة، الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية، المنهج المتبع ثم الخطة المعتمدة، فالتعريف بأهم المصادر والمرجع وفي الختام صعوبات الدراسة في هذا الموضوع.

تناولنا في المبحث الأول الذي بعنوان " مصر في السياسة الأوروبية قبل عصر محمد علي باشا "، وتطرقنا فيه لعرض بعض الرحلات الأوروبية نحو مصر، كما كان لنا حديث عن تنافس الدول الأوروبية في مصر، ثم انتقلنا إلى الحملة الفرنسية على مصر.

أما المبحث الثاني فهو موسوم ب" مصر في عهد محمد علي باشا " وقد تضمن الحديث عن التجربة التحديثية في مصر سنة **1805-1811**م، وبعدها تطرقنا إلى الحديث عن تحركات **محمد علي باشا** التوسعية **1811-1821**م، وانتقلنا إلى المواجهة الأوروبية المصرية من **1821-1830**م.

أما المبحث الثالث المعنون ب " المسألة السورية **1831-1849**م"، كان لنا فيه حديث عن الحملة المصرية على بلاد الشام، ثم تناولنا الصراع الأوروبي المصري **1838-1839**م، وتعرضنا إلى تسوية المسألة السورية.

وفي الأخير أوردنا خاتمة تحتوي على النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة، إضافة إلى مجموعة من الملاحق تتبعها قائمة البيبليوغرافيا فالفهرس

المصادر والمراجع:

لقد تعددت المادة التاريخية التي تناول هذا الموضوع بجميع جوانبه السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية في عهد "**محمد علي باشا**"، لكن الدور الأوروبي في ولاية مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان بشكل مختصر يحتاج إلى تفصيل أكثر ، إضافة إلى أن المصادر المهمة اقتصرت في تناولها للموضوع على السياسية التوسعية والإصلاحية لمحمد علي باشا بشكل معمق خاصة بلاد الشام والحكم المصري فيها.

و من ضمن المصادر التي اعتمدنا عليها " عجائب الآثار في التراجم والأخبار " لمؤلفه " **عبد الرحمن الجبرتي** "،خلف هذا المصدر الذي ترجع أهميته على أنه عاصر الأحداث الهامة في تاريخ مصر مثل الخصومات التي كانت بين المماليك، نزول الحملة الفرنسية على مصر سنة **1798**م، تولي محمد علي باشا حكم مصر، الحملة الإنجليزية سنة **1807**م، وغيرها من الأحداث، بحيث كان يسجل هذه الإحداث بتسلسلها الزماني، هذا الكتاب جاء في أربعة أجزاء طبعت في مطبعة بولاق **1297**هـ/**1879-1880**م، وما يهمنا منها الجزء الرابع الذي تناول أجزاء الموضوع.

كما اعتمدنا على مصدر آخر معنون ب " خطط الشام " لمؤلفه " **محمد كرد علي** " بحيث نشر هذا الكتاب على شكل مقال في مجلة المقتطف يحمل تسعة فصول في " عمران دمشق "سنة **1899**م، ولأهمية هذه الفصول سعى محمد كرد علي إلى التوسع فيها على شكل كتاب يحمل ستة أجزاء تحت عنوان "خطط الشام "، فاعتمدنا على الجزء الثالث الذي تناول فيه العهد العثماني من سنة **1200**هـ إلى سنة **1247**هـ في بلاد الشام مركزا على الحكم المصري بجوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام، وطبعت هذه الأجزاء في مكتبة النوري بدمشق، كما تكمل أهمية هذا المصدر في اعتماده على مخطوطات ذلك العصر.

أمّا المصدر الثالث بعنوان " عصر محمد علي " لمؤلفه " **عبد الرحمن الرافعي 1889**م، الذي عكف على كتابة التاريخ المصري بداية بسلسلة "تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر "وكان هذا الكتاب الجزء الثالث من هذه السلسلة، متحدثا فيه عن نشأة الدولة المصرية الحديثة من **1805-1840**م، فاعتمدنا على الطبعة الخامسة سنة **1989**م في دار المعارف بالقاهرة.

أمّا المصدر الرابع بعنوان " تاريخ الدولة العلية العثمانية " **لمؤلفه " فريد بك المحامي "و** حققه إحسان حقي، بحيث أنه أرخ بإسهاب عن تاريخ الدولة العثمانية من فترة الغازي "**عثمان خان الأول**" سنة (**1326-1362**م) إلى غاية الغازي **محمد رشاد خان الخامس** سنة(**1909-1918**م)، كما أفادنا في رصد المواقف الأوروبية تجاه المسألة المصرية .

ومن جانب آخر استندنا أيضا إلى العديد من المصادر الأجنبية أهمها كتاب

"A Companion To Nineteenth- Century Britain" أو "**الدليل إلى بريطانيا في القرن التاسع عشر**"، لصاحبه " Chris Williams "طبع بالجمعية التاريخية، كما تكمل أهمية هذا الكتاب أنه عمل جماعي قام بكتابة كل فصل مؤرخ متخصص تحت إشراف " كرس وليمس "، بحيث تحدثوا عن بريطانيا والعالم في القرن التاسع عشر، فاعتمدنا منه على فصل بعنوان

"Britian And The European Balance of Power " أو " **بريطانيا والموازين القوى الأوروبية** " بقلم ".John.R.Davis

كما اعتمدنا على أهم المراجع منها "حروب محمد علي " لمؤلفه " **السيد فرج** "، طبع سنة **1999**م، فكان هذا المؤلف ضابطا وأديب كتب عن تاريخ مصر من جانب الحروب، فكان هذا الكتاب من أهم ما ألفه بالتفصيل عن المعارك والعدة والعتاد وغيرها في عهد "**محمد علي باشا**" من **1805-1840**م.

أما المرجع الثاني بعنوان " المواجهة الأوروبية المصرية في عهد محمد علي "لمؤلفه " **محمد عبد الستار البدرى** " وهو عنوان أطروحته، الذي طبع في دار الشروق بالقاهرة سنة **2001**م، وقد تناول بشكل معمق أهمية نظام الأمن الدولي من حيث النشأة ومراحل تطوره، وكيف تأثر بالمسالة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع، دون أن يتناول بعض المحطات التي تعرض لها "**محمد علي باشا**" أثناء سياسة توسعه بالمواجهة من طرف بريطانيا خاصة، كما تكمل أهميته انه اعتمد على أرشيفات مختلفة من روسيا وبريطانيا والنمسا ومصر، إضافة إلى أهم المصادر والمراجع باللغة العربية والانجليزية بأخص.

أما المرجع الثالث الذي اعتمدنا عليه كان كتاب " القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين " لمؤلفه " **جمال محمود حجر** " ، قدم هذا الكتاب عمر عبد العزيز عمر،

طبع في دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية سنة **1989**م، حيث انه تحدث عن أهم الأحداث والتطورات التي شكلت الملامح الرئيسية لتاريخ الشرق الأوسط خلال القرنيين التاسع عشر والعشرين، كما تناول أصول المشكلات التي تعاني منها المنطقة العربية بسب منافساتها حول المنطقة سواء أكانت بريطانيا وفرنسا فيما بين عامين **1831-1841**م، فكان فصل مهم لنا.

الصعوبات:

خلال بحثنا واجهتنا بعض الصعوبات المتمثلة في قلة حصولنا على الكتابات المتخصصة في الشق الأول من الموضوع المتمثل في الجانب الأوروبي الذي كلفنا جهدا لاستنباط نقاط المواجهة الأوروبية ضد استراتيجيات "**محمد علي باشا**" نحو التوسع، وكذلك صعوبة التحكم في التنسيق بين معلومات فيما يخص مواقف القوى الأوروبية تجاه المسألة المصرية.

المبحث الأول
مصر في السياسة الأوروبية
قبل عصر محمد علي باشا

أولا: الرحلات الأوروبية نحو مصر.

ثانيا: تنافس الدول الأوروبية في مصر.

ثالثا: الحملة الفرنسية على مصر.

المبحث الأول: مصر في السياسة الأوروبية قبل عصر محمد علي باشا

أولا– الرحلات الأوروبية نحو مصر:

كانت مصر منذ وقت طويل ملتقى للمواصلات العالمية ومعبرا تمر به التجارة بين الشرق والغرب[1] بحكم موقعها الجغرافي المتوسط للعالم، فهي تقع على طرفي إفريقيا وترتبط بقارة آسيا وتلامس أوروبا من جهة البحر الأبيض المتوسط[2]. فأهمية موقعها الإستراتيجي لفت انتباه الدول الأوروبية نحوها.

ومنذ وقت مبكر تجلت صورة مصر في عيون الرحالة الأوروبية، بداية بالرحالة الفرنسيين الذين اهتموا بها منذ القرن **16**م نتيجة اهتمامهم بالشرق بصفة عامة والدولة العثمانية بصفة خاصة[3].

ففي القرن **18**م تغيرت أنظار الرحالة الفرنسيين والبريطانيين نحو مصر عن رحلاتهم السابقة، التي كانت قصيرة ومقتصرة على المزارات المسيحية[4]، عكس رحلات هذا القرن الذين توغلوا في صعيدها ومكثوا في مدنها[5]، فكانت كتاباتهم أعمق بكثير ممن سبقوهم.

أما في النصف الثاني من القرن الثامن عشر اهتم الرحالة بأحوال مصر السياسية، سواء الفرنسيين أو البريطانيين–الذين وفدوا بعد ذلك– بسبب ظهور صفوة عسكرية من المماليك سيطروا على الحكم من جهة، وضعف هيمنة الدولة العثمانية على ولاية مصر وبعض الولايات من جهة أخرى، وبالتالي كانت كتاباتهم ممهدة لغزو مصر.

1– عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص221.

2– علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر**، تر، زهير الشايب، مج 1، ط3، د.ب، 1992م، ص19.

3– إلهام محمد علي ذهني، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر**، د.ط، مصر النهضة، مصر، 1992م،ص18.

4– إلهام محمد علي ذهني، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنيين السادس عشر والسابع عشر**، د.ط، مصر النهضة، 1991م، مصر، ص60.

5– إلهام محمد علي ذهني، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر**، د.ط، مصر النهضة، مصر، 1992م، ص ص7– 9.

كما اتسمت الرحلات نحو مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بطابع جديد نتيجة التوسع الاستعماري والتجاري، لما أحدثته الثورة الصناعية من تكدس الإنتاج والبحث عن الأسواق، لذا كانت مصر نقطة انطلاق الرحالة الأوروبيين –الفرنسيين والبريطانيين– لإعادة اكتشاف طريق التجارة مع الشرق الأقصى عبر الجزيرة العربية والخليج أو بحرا عبر البحر الأحمر إلى الهند [1] فكانت أهم رحلات وفدت في هذا القرن إلى مصر هي:

1–رحلة فولني Volney:[2]

وفد "**فولني**" إلى مصر وسوريا في النصف الثاني من القرن **18**م، في ظروف جد صعبة ومتوترة بين فرنسا والدولة العثمانية من جهة، ومصر والمماليك من جهة أخرى.

فرحلته إلى المشرق العثماني التي دامت ثلاث سنوات من**1197-1199**هـ/ **1783-1785**م، زار فيها ولايات المشرق، وهذا ما أظهره في كتابه "الرحلة إلى سوريا ومصر خلال سنوات **1783**م، **1784**م، **1785**م. أو

."voyage en Syrie et en Egypte Pendant les Années 1783,1784,1785.

و كان أهم كتاب استعان به نابليون أثناء حملته على مصر.

فرحلته إلى مصر خاصة والمشرق عامة تحمل في طياتها دوافع معلنة وخفية، فمنها الدوافع السياسية التي لم يعلن عنها "**فولني**" بصراحة بل لمح إلى اهتماماته السياسية في معرفة أحوال الدولة العثمانية التي تمر بها منذ (20)سنة، ولم يعلن "**فولني**" السبب المباشر لرحلته وعن مهمته الخفية التي

1– جون أنتيس، **مذكرات رحالة عن المصرين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس من (1770–1782م)**، تر، السيد أحمد علي الناصري، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص10.

2– **فولني**: ولد قسطنطين فرنسوا شاسبوف Constontin François Chassebeuf في 3 فيفري 1757م بقرية كروان الماين بغرب فرنسا من أب محامي منحه لقب Bois Grais وبه عرف قسطنطين. أما عن لقبه فولني فأخذه قبل سفره إلى الشرق لحبه وتعلقه بالشاعر فولتير الذي كان يعيش في مدينة Ferony فاختار الجزء (1) من اسم الشاعر (Vo) والجزء (2) من اسم مدينة (Voy) فاتخذ اسم فولني وكانت له رحلات منها إلى سوريا ومصر ورحلته إلى العالم الجديد. ينظر، خيرة طار، **الرحالة الأوروبيين في الدولة العثمانية Volney أنموذجا**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف، نادية طرشون، جامعة الجزائر، 2013/2012م، (مرقونة)، ص ص28–30.

كلفه بها وزير الخارجية الفرنسية "**فرجين Vergennes**"، بتحرير استبيان معين لمساعدة الأعوان الذين يقومون لأول مرة بمهامهم الدبلوماسية في الشرق[1] .

فكانت رحلته ذات أهمية بالغة لدى الفرنسيين، لأنه استطاع أن يقدم دراسة عامة لمصر ومدينة الإسكندرية خاصة، فزود عمله بالخرائط المتنوعة[2]، كما أنه درس الجو السياسي مبيّنا تدهور الأوضاع الناتجة عن ظلم وجور المماليك[3]، لذا فرحلته تعتبر مرجعا هاما لمعرفة أحوال مصر في أواخر القرن الثامن عشر[4]، كما أنه وضع دراسة ديمغرافية للبلاد.

إضافة إلى ذلك قدم "**فولني**" نصائح لاحتلال الولايات العثمانية عامة ومصر خاصة، إذ أنه قدم نصيحة في كتابه الأطلال، أنه من يريد احتلال مصر فعليه أن يكافح ثلاث قوى فقال: «... **للإقامة في مصر لا بد من تحمل ثلاث حروب الأول ضد الإنجليز، الثانية ضد الباب العالي، ثالثا وهي الأصعب حرب ضد المسلمين...**»[5] ، وهذه النصيحة عمل بها "**نابليون**" عند توجيه حملة نحو مصر **1798**م[6]، فكان كتاب "**فولني**" بمثابة الدليل العسكري لنابليون.

2 – رحلة جون أنتيس[7]:

تزامنت رحلة "**جون أنتيس**" مع رحلة "**فولني**" في النصف الثاني من القرن **18**م، إلا أنّها اختلفت دوافع رحلة كل واحد منهما، وهذا ما يقابله من التنافس الاستعماري بين هذين البلدين، وسعي كل طرف للسيطرة على الطرق التجارية البحرية ومناطق النفوذ.

1- خيرة طار، المرجع السابق، ص41.

2- نفسه، ص45.

3- أحمد حافظ عوض، **نابليون بونابرت في مصر**، د.ط، كلمات هنداوي، القاهرة، 2012 م، ص34.

4- أحمد طربين، **تاريخ المشرق العربي المعاصر**، د.ط، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986م، ص ص31-32.

5- هنري لورانس وآخرون، **الحملة الفرنسية في مصر**، تر، بشير السباعي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1995م، ص153.

6- خيرة طار، المرجع السابق، ص163.

7- **جون أنتيس**: هو رحالة انجليزي من أصل ألماني، حمل الجنسية الانجليزية، ولد سنة 1741م، التحق بالبعثة التبشيرية المورافية شتيكوسلوفاكيا، أمرته بالسفر إلى القاهرة لمتابعة أعضاء هذه الجمعية، فإصابته بمرض الملاريا جعلته يمكث في مصر 12 سنة. ينظر، نفسه، ص147.

قد جاءت رحلته إلى مصر لأسباب دينية محضة منها نشر المذهب البروتستانتي[1]، بين الأقباط في مصر، فدخلها في جانفي سنة **1770**م وخرج منها عام **1782**م، وبذلك كان مكوثه فيها **12** عاما، وهي أطول فترة أقامها رحالة أوروبي في مصر خلال هذا القرن[2].

إنّ أهم ما يميز رحلة إنجليزي "**جون أنتيس**" عن باقي الرحالات الأوروبيين الآخرين أنه لم يشغل نفسه كثيرا بالأوضاع السياسية، إنما اهتم بالأوضاع الاجتماعية المتمثلة في الأمراض وعيوب الإدارة من فساد ورشوة وغيرها، كما أنه درس سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم عن كثب[3] حيث بين هذا في كتابه "**مذكرات رحالة عن المصريين عاداتهم وتقاليدهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس 1770–1782م**".

كما رصد هذا الرحالة الأوضاع السياسية المتمثلة في ظلم وتعسف المماليك الذي تعدى شرهم إلى الرحالة، فيرجع ذلك حسب رأيه إلى الطريقة الفاسدة التي يطبقها نظام البكوات، مبرءا القوانين العثمانية [4]، ثم تحدث عن الأحوال الاقتصادية المتردية فقال: « **إنّ المصريين غير مؤهلين لحكم أنفسهم بأنفسهم وأن الحل هو وقوع في حوزة دولة كبرى متحضرة وقوية تعمل على إصلاح أحوالها وتحديثها... »**[5] وهذا ما يبين كيفية تشجيع دولته على احتلال مصر.

واسترسل في تحدثه عن الأهمية التجارية لمصر عامة، ومدينة القاهرة خاصة، ومشيرا إلى أن تكون هذه الأخيرة مركزا تجاريا للعالم بأسره، ومؤهلة أن تكون همزة وصل بين العالم الفتي المتخلف والعالم الأوروبي المتحضر.

1- **البروتستانتي**: هو مذهب انتشر في أوروبا في القرن 16م، أما البروتستانت مشتقة من كلمة اللاتينية وتعني الاحتجاج وكان لها معنيان الأول سلبي وتعني الاحتجاج والثاني ايجابي وتعني التأكيد وهو المعنى الذي تهتم به البروتستانتية واستخدمته لأول مرة سنة 1519م. ينظر، عبد المجيد النعنعي، **أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة 1840–1454م**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص61.

2- خيرة طار، المرجع السابق، ص ص147-148.

3- جون أنتيس، المصدر السابق، ص ص19-20.

4- خيرة طار، المرجع السابق، ص149.

5- جون أنتيس، المصدر السابق، ص ص23-24.

واقترح "**جون أنتيس**" فتح قناة رابطة بين السويس ونهر النيل أو بين ميناء القصير على البحر الأحمر ومدينة قنا[1] على نهر النيل[2]، ويرى أن ذلك لن يتم إلا إذا وقعت مصر في قبضة دولة قوية، وأن تعمل على تطوير مزايا موقعها لصالح التجارة.

حيث كتب هذا الرحالة في مرحلة كانت بريطانيا تتطلع فيها لاحتلال مصر وتبحث فيها عن الأحوال السياسية ومدى إمكانياتها الاقتصادية وأهمية موقعها كهمزة وصل بين العالم الإفريقي والآسيوي والعالم الأوروبي، كما أنه كان يكتب بأمر من مسؤولين بريطانيين من أجل تلبية متطلباتهم، فكان هذا الكتاب مهما لو صدر قبل قيام الحملة البريطانية على مصر[3]، لنجحت في سنة **1807**م.

نجد أن "**جون أنتيس**" والذين سبقوه خاصة الرحالة "**جيمس بروس**" [4] أنهم كشفوا أهمية مصر في جميع المجالات خاصة الاقتصادية، وشجعوا حكوماتهم على السيطرة والتحكم في هذه الرقعة الجغرافية المتميزة فيقول في هذا الصدد "**جون أنتيس**":« **يا ليت هذا البلد يسقط في أيدي أمة متحضرة قادرة على توطيد نفسها هناك، فتعمل على تطوير مزايا موقعه لصالح التجارة، فتنشر الحضارة، عندئذ تصبح إفريقيا التي لا تعرف عنها حتى الآن سوى التستر اليسير–مصدرا لكم هائل من الثراء** »[5] ، فنجده كان ملّحا على ضرورة خضوع هذه البلاد لاحتلال البريطاني.

نستشف أن مصر لقيت اهتماما كبيرا من طرف الرحالة الأوروبيين أو كما عرفوا بالرحالة الجواسيس[6]، خاصة الفرنسيين والبريطانيين والذين خلقوا ما عرف بالحلم نحو الشرق رغم الظروف والصعوبات التي واجهتهم خاصة من طرف المماليك التي زادت شوكتهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

1- يقصد بها مدينة الكرمة في صعيد مصر.

2- خيرة طار، المرجع السابق، ص150.

3- جون أنتيس، المصدر السابق، ص25.

4- **جميس بروس**: رحالة انجليزي كان يعمل قنصلا في الجزائر ثم حضر القاهرة سنة 1768 م، ولم يجد فيها بريطانيا واحدا، فاستطاع أن يتفاوض مع محمد أبي ذهب، فعقد معه اتفاق 1773م، فاستغرقت رحلته في مصر من سنة (1769-1773م). ينظر، عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر1571–1922م**، د.ط، دار المعرفة الجامعية، د.ب، 2000 م، ص ص40-41.

5- خيرة طار، المرجع السابق، ص150.

6- إلهام ذهني، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص10.

ثانيا– تنافس الدول الأوروبية في مصر:

عقدت الدولة العثمانية معاهدات مع الدول الأوروبية منذ **16**م التي دعمت التواجد الأجنبي خاصة الفرنسي بالشرق العثماني، فاستغلت هذه الدول الوضع الذي مرت به الدولة العثمانية في القرن 12هـ/18م، فأصبحت هذه الامتيازات حقا مورثا ومكتسبا لها في ولاياتها خاصة مصر.

1 – المصالح الفرنسية:

تطلعت فرنسا منذ القرن **16**م إلى مصر بحكم موقعها على أنه أحد المعابر الرئيسية للتجارة بين الشرق والغرب، فحاولت السيطرة على الطريق البري(مصر والبحر الأحمر) من جهة[1]، واستغلالها للامتيازات التي منحت لها من طرف الدولة العثمانية من جهة أخرى.

لذا استغلت فرنسا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، الحروب العثمانية الروسية التي انعكست سلبا على مصر، بأن أي محاولة تقوم بها الدول الأوروبية لاحتلال مصر لن تلق مقاومة فعلية من جانب الدولة العثمانية أو من جانب مصر [2] ، فحاولت تحقيق مصالحها في مصر عن طريق سيطرتها أولا على تجارة الشرق، وثانيا لإخراج انجلترا من الهند، وثالثا السيطرة على الطريق المؤدي إلى الهند والشرق الأقصى[3]، ورابعا شق قناة بحرية بين البحرين المتوسط والأحمر، لهذا اهتمت بمصر.

كما نجد الأوضاع السياسية في مصر بظهور "**علي بك الكبير**" في **1180-1186**هـ/ **1767-1773**م[4] الذي أعلن السلطة المملوكية في مصر مستقلة عن الدولة العثمانية سنة

1- أحمد طربين، المرجع السابق، ص42.

2- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص ص40 -41.

3- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، د.ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص ص26-27.

4- **علي بك الكبير**: هو مملوكي ولد سنة 1728م، وبيع كمملوك لأحد كبار الجمارك بالإسكندرية، ثم أصبح كاشفا في 22 من من عمره، ثم تقلد الصنجقية في سنة 1754م، كما أنه كان طموحا في تزعم المماليك فتحقق له ذلك في 1763م ثم أصبح شيخا للبلد المصري. ينظر، نفسه، ص50.

1772م[1]، كما أنه كسر سياسة عزلة- لم تكن هناك علاقات بين المصريين والعالم الخاجي- التي فرضت عليها، فاتحا بابها للتجارة الدولية[2]، وبالتالي أصبحت مصر محل أطماع الدول الأوروبية.

أصبح التنافس الأوروبي على هذه المنطقة واضحا، خاصة انجلترا التي حاولت إنشاء مركز تجاري متميز لها، وإحياء طريق السويس البري[3] والنمسا التي أظهرت اهتمامها البالغ لهذه الطريق وهذا ما بيّنه "**ميور**" في **1783**م-القنصل الفرنسي في مصر- لحكومته باحتلال مصر قبل أن تغتنم النمسا الحرب العثمانية الروسية وتستولي على مصر[4] وتسيطر على طريقها والبحر الأحمر، أمام هذا الصراع السلمي بين الدول الأوروبية على مصر، سعت فرنسا لربط علاقاتها مع المماليك لخدمة مصالحها التي تعرضت إلى الخطر المماليك[5] خاصة مقر قنصليتها في القاهرة، فنجد القنصل الفرنسي "**شارل مجالون Charles Magllon**"، ذكر بأنهم تعرضوا للقتل كما أنهم كانوا يدفعون أموالا لتأمين أرواحهم[6].

استمرت فرنسا متمسكة بمصالحها التجارية في مصر بنقل مركز تجارتها وقنصليتها من القاهرة إلى الإسكندرية، رغبة في التخلص من الضرائب التي فرضت عليها[7]، كما تطلعت إلى عقد معاهدات مع المماليك مستغلة ضعف نفوذ الحكومة العثمانية من أجل تعزيز مكانتها وتوثيق علاقاتها معهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

1- أحمد عوف، **أحوال مصر من عصر لعصر**، د.ط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، د.ت، ص96.

2- عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1983 م، ص70.

3- عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج 2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2004م، ص51.

4- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص57.

5- ن.س. جيرار، **وصف مصر موسوعة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر**، تر، زهير الشايب، مج4، ج1، د.ط، دار الشايب للنشر، د.ت، ص310.

6- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، المرجع السابق، ص58.

7- صالح رمضان محمود، "الصراع الانجليزي الفرنسي في مصر من 1863-1882م"، **مجلة المؤرخ العربي**، ع7، د.ت، ص71.

أوفدت فرنسا ضابطها البحري "**تروجيه Truguet**" إلى مصر في أواخر عام **1784**م[1] فاستطاع عقد ثلاث معاهدات، فالأولى مع "**مراد بك**"[2] في ربيع الأول 1199هـ الموافق **9** جانفي **1785**م التي نصت على السماح للسفن الفرنسية بحرية المتاجرة في مصر، كما تعبر هذه المعاهدة عن الاهتمام المتزايد من جانب الفرنسيين باستخدام الطريق العالمي للتجارة بين الشرق الأقصى والغرب الأوروبي عبر مصر[3] فكانت تهدف إلى إقامة إمبراطورية استعمارية فرنسية جديدة تكون مصر مركزا لها ومنطلقا لتجارتها.

كما تمكن من عقد معاهدة ثانية في **13** ربيع الأول **1199**هـ الموافق **23** جانفي**1785**م مع "**يوسف كساب**" الملتزم العام للجمارك في مصر، اشترط فيها بعدم زيادة الرسوم على المتاجر الفرنسية [4]، أما المعاهدة الثالثة التي كانت في ربيع الأول **1199**هـ الموافق جانفي **1785**م مع"**الحاج ناصر شديد**" تعهد فيها بنقل البضائع الفرنسية بأمان في طريق الصحراء من السويس إلى القاهرة[5] كانت هذه المعاهدات فاتحة للتوغل الفرنسي داخل البلاد.

لم تلق هذه المعاهدات الفرنسية المملوكية الترحيب من قبل بريطانيا، بسب تحريض هذه الأخيرة عنصر المماليك، كما أبدت الدولة العثمانية معارضة شديدة تمثلت في إرسال حملتها ضد مصر في أكتوبر سنة **1786**م لتدعيم سيادتها على المنطقة وتقليص نفوذ المماليك[6]، وبالتالي بقيت تلك المعاهدات التجارية غير سارية المفعول.

1- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص51.

2- **مراد بك**: من مماليك محمد بك أبي الذهب، شارك مع هذا الأخير في حملته إلى عكا، فبعد وفاة أبا الذهب عاد مع جيشه وشارك الحكم مع إبراهيم بك في مصر إلى غاية مجيء الحملة الفرنسية، توفي في 1800م. ينظر، نيقولا التركي، **الحملة الفرنسية على مصر والشام**، حق، ياسين سويد، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1990م، ص27.

3- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص51.

4- عبد العزيز نوار، **النهضة العربية الحديثة**، ط1، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ب، 2002م، ص89. ص89.

5- صالح رمضان محمود، المرجع السابق، ص 71.

6- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 51.

سعت فرنسا جاهدة لحافظ على مصالحها في مصر، بعثت وزير خارجيتها "**فيرجين**" إلى سفيرها المقيم في اسطنبول لتوسط لدى الدولة العثمانية من أجل فتح الطريق البري للتجارة عبر برزخ السويس للتجار الفرنسيين[1] .

أدت الأوضاع غير المستقرة في مصر بصفة خاصة والدولة العثمانية بصفة عامة إلى قطع كل العلاقات التي كانت قائمة حتى ذلك الوقت بين الحكومة الفرنسية والمماليك المتميزة بين الاستقرار تارة والانفصال تارة أخرى، فرجحت هذه القطيعة بين البلدين ولو بشكل ظاهري أسباب قيام الحملة الفرنسية على مصر.

2- المصالح البريطانية:

لفتت بريطانيا انتباهها نحو مصر، لوجودها على مفترق الطرق وملتقى الأشعة للعالم، كما تمثل الطريق السلطاني لمتاجر الشرق والغرب[2]، هذا ما دفعها إلى إحياء الطريق البري، باعتباره اقصر وأسرع طريق لنقل الوسائل والتعليمات والجنود بين الهند وانجلترا[3] ، بدل من الطريق البحري، لذا كان هدفها واضحا في سلامة تجارتها في مستعمراتها نحو الهند.

فاتضحت مكانة مصر لبريطانيا لا بصفتها سوقا لبضائعها ولكن لكونها ممرا يؤدي إلى الهند ويؤمن سلامة تجارتها، لذا سعت إلى مراقبة المخططات الفرنسية في مصر عبر قناصلها وسفراءها في القاهرة[4] ، وهنا نجد القنصل الانجليزي "**اللورد قاتم Chat Tham**"، الذي وجه خطابا إلى البرلمان الانجليزي في ديسمبر**1763**م قائلا: « **إنّ الشيء الذي تخشاه انجلترا هو رؤية فرنسا قوة بحرية وتجارية واستعمارية** »[5] فاشتد التنافس بين فرنسا وإنجلترا على مصر من أجل حفاظهما على مصالحهما.

1- كمال حسنة، **العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث 1789-1807م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عائشة غطاس، جامعة الجزائر، 2005 -2006م، (مرقونة)، ص223.

2- أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص70.

3- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص ص47-48.

4- نفسه، ص48.

5- كمال حسنة، المرجع السابق، ص96.

ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر خافت بريطانيا على مصالحها في الشرق(مصر) من منافستها فرنسا، بالرغم من أن العلاقة الانجليزية المصرية في هذا القرن كان يحكمها عاملان هما التجارة البريطانية الهندية في مصر، والطريق البري عبر مصر للمواصلات إلى الهند[1].

كما ساعدت معاهدة باريس سنة **1763**م على التنبؤ بسرعة ازدهار عملية استغلال إنجلترا للهند، وتساعد هذه المعاهدة على محاولة بريطانيا على زيادة مصالحها ونفوذها في مصر باعتبارها مفترق طرق مهم لاتصالها بالهند[2]، وزاد الاتصال بين بريطانيا والمماليك نتيجة تشابه المصالح بين الطرفين، فكان "**علي بك الكبير**" يطمح في إحياء التجارة الهندية عن طريق مصر والبحر الأحمر أفضل من طريق رأس الرجاء الصالح فطلب المساعدة من بريطانيا، فوجدت هذه الأخيرة غايتها[3] اتجاه مصر من هذا الباب بتقديم يد العون له نحو سياسته التوسعية في الحجاز والشام[4].

كما تهيأت أذهان بعض الرحال الانجليز لإقناع حكام مصر بإحياء الطريق العالمي عبر البحر الأحمر، ومن أبرزهم الرحالة "**جيمس بروس James Bruce**" الذي يستصدر فرمانا محليا من "**أبي الذهب**" [5] عام **1773**م إلى شركة الهند الشرقية التجارية، جاء فيه السماح بحضور السفن الانجليزية إلى السويس، وتعهد بعدم التعرض التجار بالأذى[6] .

أضحت مصر مفتوحة على مصرعيها أمام السفن وتجارة الإنجليز المنطلقين من أوروبا أو من الهند البريطانية، دون أن يكون هناك نشاط ولو ضئيل من جانب المصريين في اتجاه مستعمراتهم الواسعة[7]، فنرى أن السيطرة بدأت بالتجارة وانتهت بالاحتلال.

1- رأفت الشيخ، **تاريخ العرب الحديث**، د.ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ب، 1994م، ص 216.

2- جلال يحي، **مصر الحديثة 1517-1805م**، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص 328.

3- رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص 217.

4- السيد وليم مرير، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، تر، محمود عابدين وسليم حسن، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص 109.

5- **محمد بك أبي الذهب**: ابن عبد الله رئيس الأمراء الكبار بمصر، فكان مولى من موالي الأمير علي بك شارك مع مولى في حملته على عكا ضد ظاهر العمر، فتولى الحكم بعد انقلابه على مولها علي بك الكبير. ينظر، أبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي (1173-1206هـ)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثامن عشر**، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص ص، 54-56.

6- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص49.

7- عبد العزيز نوار، **النهضة العربية...**، المرجع السابق، ص 66.

استطاع الانجليز التوغل في الطريق من الهند إلى السويس عن طريق "**وارن هيستنجز Warien Hastings**" حاكم البنغال الذي شجع الحكومة البريطانية على تنمية تجارتها الشرقية نحو مصر، كما قام بعقد معاهدة للتجارة والملاحة مع "**أبي الذهب**"في **5** محرم **1189**هـ/ **7**مارس**1775**م، فجاءت هذه المعاهدة تأكيدا على المعاهدة التي وقعها "**جميس بروس**" وقد نصت على حق التجارة في الهند وفي مصر لمواطني االطرفين على السواء[1] .

أمام هذا الوضع الذي آلت إليه مصر المتمثل في فتح تجارتها مع التجار الفرنسيين والبريطانيين، سعت الدولة العثمانية إلى رفض المعاهدة البريطانية المملوكية سنة **1775**م بإصدارها فرمان يمنع مرور التجارة الهندية من مصر[2] ولكن كان هذا القرار بدون جدوى بسب سيطرة المماليك على دواليب الحكم.

اشتد الصراع والتنافس بين الدولتين، بحيث زاد تطلع بريطانيا نحو مصر خاصة بعد الانقلاب الصناعي وتصدير بضائعها في الشرق الأقصى، إلى عقد معاهدة مع "**مراد بك**" في **1794**م، التي أعطت لها تسهيلات في المواصلات والنقل واعتبار انجلترا أكثر الدول رعاية بمعنى تكون انجلترا صاحبة أي حق تحصل عليه أية دولة أخرى في مصر[3].

أمام هذا الوضع سعى السلطان العثماني "**سليم الثالث**" [4] مرة أخرى إلى التدخل كعنصر محايد في تفادي الصراع الأوروبي على مصر من جراء معاهدة **1794**م وعمل على إلغائها، وهنا تقرب المماليك من انجلترا وحاصروا التجار الفرنسيين في مصر بتعطيل أعمالهم[5] .

نستنتج أن الفراغ السياسي الذي عرفته مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كان ناجما عن ضعف السلطة المركزية عليها، مما جعلها عرضة للقوى الخارجية، وتجلى ذلك في الحملة الفرنسية عليها عام **1798**م.

1- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص 50.

2- أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص39.

3- عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص 74.

4- **سليم الثالث:** هو ابن السلطان مصطفى الثالث المولود سنة 1175هـ-1762م، تولى العرش في سنة 1789م، إلى غاية 1807م، شهد عهده عدة مشاكل خارجية، أما الداخلية فقام بإصلاحات داخل الدولة العثمانية متأثرا بالغرب. ينظر، أحمد عبد الرحيم مصطفى، **أصول التاريخ العثماني**، ط2، دار الشروق، د.ب، 1993م، ص ص 173- 175.

5- عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص 74.

ثالثا- الحملة الفرنسية على مصر:

1 – خلفيات الحملة الفرنسية.

لقد كانت لفرنسا العديد من الخلفيات التي كانت تقف وراء حملتها على مصر، ومنها ما يتعلق بأوضاعها الداخلية بصفة خاصة وبأوضاع أوروبا بصفة عامة ومنها ما يتعلق بالمصالح الحيوية في قارتي آسيا وإفريقيا.

إن فكرة الحملة الفرنسية على مصر لم تراود "**نابليون بونابرت**"[1] وحده بل كانت تتردد في الأذهان في مختلف العصور السابقة، فكان الاهتمام فرنسا بمصر من ضمن مخططاتها منذ القرن **16**و**17**م [2] وما يوضح ذلك هو تقارير الرحالة والقناصل والجواسيس الذين وفدوا إليها أمثال **الأب كوبان Coubin** في كتابه "**الحروب الصليبية**" وغيرها.

تزايدت تطلعات فرنسا نحو مصر في القرن **18**م لأسباب عديدة منها رغبة فرنسا في أن تجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية وتسيطر منه على شواطئها، وتضرب بذلك الأسطول الانجليزي في الشرق الأدنى، وبهذا تفتح ميدان الاستعمار نحو الشرق الذي يعتبر من الدوافع الحقيقية للحملة[3].

وما زاد الاهتمام الفرنسي بمصر هو لاعتقادها أن للنمسا أطماع في مصر وخصوصا بعد إظهار النمسا لرغبتها في السيطرة على تجارة الشرق سنة **1782**م وبذلك تحول تجارتها إلى الطريق البري عبر مصر[4] ، وفي عام **1783**م قام قنصل فرنسا "**ميرو**" في مصر بكتابة تقرير طالبا فيه حكومته باحتلال مصر نظرا لتخوفه من المطامع النمساوية فجاء على لسانه قائلا: « **إنّ الاحتلال مصر يعوضنا عن المنتجات الضائعة** » [5].

1- **نابليون بونابرت:** من مواليد5 فيفري 1769م بمدينة أجاكسيو الواقعة في جزيرة كورسيكا، ودخل المدرسة العسكرية وترقى إلى وظيفة ملازم سنة 1786م، وبعد قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م انضم إليها وعين قائدا للجيش المحارب في إيطاليا سنة 1796م، ثم توجه بحملته نحو مصر سنة 1798م إلى غاية 1801م، وبعد عوته إلى فرنسا عين أول قنصل فيها سنة 1804م، إلا أنه هزم سنة 1815م في معركة واترلوا، ثم نفي إلى جزيرة سانت هيلانة. ينظر:

Evguéni Tarlé, Napoléon, T1, E4, éditions de Moscou, Russe, 1947,p p 10-45.

2- عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج4، د .ط، مطبعة بولاق، د.ب، 1997م، ص ص34-35.

3- عصام محمد شبارو، **المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني**، د.ط، دار التضامن، د.ب، 1992م، ص 27.

4- إسماعيل أحمد ياغى، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1997م، ص ص 196- 197.

5 -Patrice Bret, L'Egypte au temps de L'expédition (1798-1801), Hachette, paris , SD, p21.

أثرت الأوضاع في أوروبا على توجيه الاهتمام الفرنسي بمصر فبعد هزيمة فرنسا في حرب السبع سنوات **1756-1763م** [1] أصبحت هناك عداوة كبيرة بين الإنجليز والفرنسيين خاصة بعد سيطرة بريطانيا على المستعمرات الفرنسية[2]، وبذلك تأكد للفرنسيين أن احتلال مصر هو ميدان الحرب الذي يقهر فيه الانجليز وبالتالي ستعوض عمّا خسرته في مطلع القرن 18م.

إضافة إلى ذلك فمن العوامل التي شجعت حكومة الإدارة في فرنسا على المضي قُدما في مشروع احتلال مصر، الأوضاع المتردية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية على كافة الأصعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية[3] .

وبعد قيام الثورة الفرنسية سنة **1789م** أظهرت الدول الأوروبية العداء لفرنسا ولكنها تمكنت سنة 1795م من القضاء على أعداءها ما عدا النمسا وبريطانيا، إلا أنها استطاعت أن تجبر النمسا على توقيع معاهدة **كامبوفورميو1797م** [4] فلم يبق أمامها سوى انجلترا فقد أثبتت التقارير صعوبة هزيمتها على أرضها فاتجهت فرنسا لمهاجمتها في مستعمراتها في الشرق وذلك بالسيطرة على مصر وقطع الاتصالات بين انجلترا والهند[5] .

ففي رسالة وزير الخارجية "**تاليران**" التي بعثها إلى "**نابليون**" عام**1797م** قائلا فيها: « **إنّ مصر باعتبارها مستعمرة سوف تحل محل المنتجات جزر الأنتيل وباعتبارها طريقا فإنها سوف تعطينا تجارة الهند** »[6].

1- **حرب السبع سنوات (1756-1763م)**: بدأت الحرب بهجوم شنه فردريك الثاني على سكسونيا في أواخر أوت 1756م، فاشتركت فيها معظم دول أوربا واشتد فيها التنافس الفرنسي والبريطاني في مستعمرات آسيا وأمريكا، وانتهت بعقد صلح باريس سنة 1763م. ينظر، عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، د. ط، دار الفكر العربي، د.ب، 1999م، ص ص265، 266.

2- نقولا التركي، المصدر السابق، ص27.

3- الغالي غربي، **دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي1288-1916م**، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 174.

4- **اتفاقية كامبوفورميو 1797م**: بمقتضى هذه الاتفاقية منحت لكل من فرنسا والنمسا بعض الأراضي في ايطاليا والراين كما ضمنت هذه المعاهدة السلم في أوروبا. ينظر، محمد عبد الستار البدرى، **المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي**، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 2001 م، ص23.

5- السيد محمد الدقن، **تاريخ مصر الحديث**، د ط، مكتب الوصفي للدلالات الكاتبة، د.ب، 1979م، ص 2

6- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 173.

أرادت فرنسا توجيه ضربتها لمنافستها البريطانية بطريقة غير مباشرة وذلك بضرب مصالحها التجارية في المنطقة[1] إذ أوشكت بقيام حملة ضد الإنجليز في عقر دارها إلا أن "**نابليون**" اعترض عن ذلك وأبلغ حكومة الإدارة في فيفري **1798**م بأنه يتوقع حدوث خسائر للأسطول الفرنسي فاقترح البديل بتوجيه حملة مباشرة إلى مصر، فأقنع حكومته بأنها لا يمكن أن تتغلب على إنجلترا إذا بقت تتصارع معها في القارة الأوروبية ونظرا لهذه المعطيات لم تعارض حكومته للمشروع الذي اقترحه "**نابليون**"، وقبل قيامه بالحملة اطلع على عدة كتب حول المشرق منها رحلة "**فولني**" **و**بذلك تقرر القيام بالحملة الفرنسية رسميا في **5**مارس**1798**م[2] .

ظل الفرنسيون في مصر ثلاثة أعوام يحاولون خلالها تثبيت وجودهم العسكري وتقويض المؤسسات الاجتماعية وحتى القيم الاجتماعية والدينية، وإدخال النمط الأوروبي على هذه المؤسسات، كما لقي "**نابليون**" الرفض الشامل لهذه الحملة من طرف العثمانيين والانجليز، ثم اتجه "**نابليون**" إلى سوريا للدفاع عن موقعه في مصر، إلا أن محاولاته نحو هذين البلدين باءت بالفشل وانسحاب من مصر سنة **1801**م[3].

يمكن القول أن مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر كان بناءا على متغيرات عميقة أحدثتها الثورة الفرنسية داخل فرنسا وخارجها، ولكن في حقيقة الأمر نجد أن الغرض الحقيقي من غزو مصر هو من اجل السيطرة على البحر الأبيض المتوسط وجعله بحيرة فرنسية وبذلك تُضرب المصالح البريطانية في الشرق الأدنى من جهة، ومن جهة أخرى تؤكد على أن الدولة العثمانية ليس لها أي سلطة في المنطقة.

2 – نتائج الحملة الفرنسية.

إن الآثار التي خلفتها الحملة الفرنسية على مصر كبيرة بالرغم من قصر مدتها من **1789**-**1801**م إلا أنها أعطت نتائج هامة على جميع الأصعدة وقد ظهرت أثارها فيما بعد ونذكر منها:

أ– النتائج الحربية:

---

1 -Jean Louis Bernard , **Histoire Secrète de L'Egypte**,S.E , édition Albin Michel, Paris,1993 ,p320.

2- كمال حسنة، المرجع السابق، ص 96- 98.

3- سليمان بن محمد الغنّام، **قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية** (**1811–1840م**)في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، ط1، تهامة، المملكة العربية السعودية، 1980م، ص 13.

كانت للحملة الفرنسية نتائج حربية هامة تدخل ضمن الصراع الفرنسي الإنجليزي، حيث نجد أن فرنسا على إثر حملتها لم تستطع الاتصال بالمستعمرات الإنجليزية في الشرق ولا حتى قطع الطريق بين انجلترا ومستعمراتها لذلك منيّت حملتها بالفشل نظرا لتفوق البحرية الانجليزية[1] بقيادة الأميرال "**نلسون**"[2].

هذا القائد العسكري الذي قاد واقعة أبي قير البحرية[3] وحطم فيها جميع المراكب والسفن الفرنسية[4] ، وبذلك تمكنت انجلترا من السيطرة البحرية على البحر المتوسط وهذا ما ساعدها على فرض الحصار التام على الشواطئ المصرية وأكدت لمنافستها الفرنسية على قوتها الحربية في المنطقة[5]، خصوصا بعد توقيعها على معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية **1799**م كما أكدت بريطانيا بذلك على زعاماتها في الحلف الدولي ضد فرنسا مما اضطر "**نابليون**" للعودة لفرنسا، وتم الإجلاء الفرنسي من مصر سنة**1801**م[6] .

ب- النتائج السياسية:

كشفت الحملة بجلاء أهمية موقع مصر في الصراع الاستعماري بين انجلترا وفرنسا ومنذ ذلك الوقت وُجد في السياسة الانجليزية ما يعرف بمصطلح **المسألة المصرية**[7] ، ولفتت الحملة أنظار

1- السيد محمد الدقن، المرجع السابق، ص 17.

2- **نلسون:** من مواليد 1758م، اقتحم البحرية وسنه لا يتجاوز 12سنة، ثم عين وكيلا سنة 1797م، وفي 21 أكتوبر 1805م انتصر في موقعة الطرف الأغر وقتل في هذه الواقعة ونقلة جثته إلى وندرة، ودفن في كنيسة وستمنستر المعدة لدفن الملوك الإنجليز.ينظر، فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح، إحسان حقي، ط5، دار النفائس، بيروت، 1986م، ص 374.

3- **واقعة أبي قير1 أوت1798م**: كانت معركة أبصرها " دينون " من برج أبي مندور بين الأسطول الانجليزي بقيادة نلسون والأسطول الفرنسي تحت قيادة الأميرال "برويز" هي من المعارك الفاصلة التي ترتبت عليها نتائج هامة. ينظر، أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص191.

4- سيد محمد السيد، **دراسات في التاريخ العثماني**، ط 1، دار الصحوة للنشر، د.ب، 1996م، ص 208.

5- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، المرجع السابق، ص 115.

6- السيد محمد الدقن، المرجع السابق، ص 9-10.

7- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، المرجع السابق، ص116.

الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا التي ركزت اهتمامها بمصر نظرا لتواجدها على طريق المواصلات البحرية، كما حاولت أن تحافظ وتتصدى لكل قوى تريد بسط سيطرتها عليها في مقدمتها فرنسا[1] .

أدخلت الحملة الفرنسية مصر في دائرة تنافس الدولي ونخص بالذكر بريطانيا، التي قامت أولا بتحطيم الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير، وهذا ما يدل على عدم رضها بوجود قوى منافسة على الطريق التجاري العالمي بين بريطانيا والهند، وثانيا اشتركت مع الدولة العثمانية لإجلاء الحملة سنة **1801**م[2]، بالتالي شجعت الحملة الفرنسية بريطانيا على إتباع سياسة المحافظة على الدولة العثمانية فقد ظلت متمسكة بها طوال ثلاث أرباع من القرن **19**م.

وبالإجمال أثرت الحملة الفرنسية على مستقبل مصر السياسي فقد أدت إلى ازدياد نشاط بريطانيا في الشرق الأوسط وأحدثت بذلك رد فعل مباشر في المنطقة وأصبح التنافس السياسي والحربي بين بريطانيا وفرنسا على أشده[3] .

ج- النتائج الاقتصادية:

كان للحملة الفرنسية أثر اقتصادي كبير، فبمجرد دخولها تبعها الأسطول البريطاني وفُرض الحصار على السواحل المصرية، الأمر الذي أدى إلى منع الاستيراد والتصدير بطريقة شبه كاملة من ناحية البحر. وسعت فرنسا تطبيق نظامها الاقتصادي في مصر -القضاء على النظام الإقطاعي وتمهيد للنظام الرأسمالي- بتوجيه ضربة قاضية للمماليك من الجانب الاقتصادي لأنهم مارسوا النظام الإقطاعي بالرغم من أنه نظام إقطاعي التزامي، ويتقارب مع النظام الرأسمالي الذي تسود فيه الطبقة الوسطى [4]، نستشف أن الحملة الفرنسية أثرت على انهيار الاقتصاد المصري مقارنة بعهد المماليك، بسب صعوبة تطبيق الأنظمة الاقتصادية الأوروبية التي لم تلق ترحيبا من قبل الشعب المصري، وبالتالي هزت الاقتصاد الموجود في مصر دون أن تتمكن من وضع أسس لبنيان اقتصادي جديد.

1- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين خطيب، **تاريخ العرب الحديث**، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989م، ص 73.

2- جاد طه، **معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، د.ط، دار الفكر العربي، د.ب، د.ت، ص35.

3- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق**...، المرجع السابق، ص ص338-339.

4- صلاح أحمد هريدى ، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517-1882م)**، د.ط، جامعة الإسكندرية، مصر، مصر، 1999م، ص332.

د- النتائج الاجتماعية:

كانت للحملة الفرنسية آثار اجتماعية كبيرة على المصريين، إذ اعتبر دخولهم حدثا فريدا من نوعه بالنسبة للشرق الأدنى، وشكل تواجدهم صدمة نفسية وعقلية على المجتمع المصري[1].

فقد عمل الفرنسيون منذ تواجدهم بمصر على تغيير المفاهيم الفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع المصري الزراعي، مما أدى إلى خلق مفاهيم جديدة[2]، وعادات دخيلة على المجتمع المصري وهذا ما ترتب عنه آثار سلبية تجلت في انتشار المفاسد والانحطاط على مستوى الأخلاق[3].

كما تبعه تغيرا في البنيان الاجتماعي وذلك بالقضاء على طبقة المماليك، وانتعاش لطبقة الوسطى على حساب طبقة الإقطاعيين[4]، وبذلك قضت الحملة على البناء الأساسي للوظائف والمصالح والحقوق المكتسبة التي كانت سائدة في السابق.

هـ- النتائج القومية:

من نتائج الحملة الفرنسية غير المباشرة أن المصريين ثاروا مرتين عندما تجمعوا في حشود ثورية بزعامة مصرية خالصة فتعاون الثوار ضد قوة الاحتلال، تولد عنه شعورا خاصا بالقومية[5]، فكان إشراك "**نابليون**" للمصريين في حكم مصر قد أيقظ فيهم الشعور بحب الوطن وبإمكانية حكم بلادهم بأنفسهم.

و- النتائج الدينية:

أعادت الحملة الفرنسية إلى أذهان العالم الإسلامي عامة وفي مصر خاصة الصورة البشعة عن الحروب الصليبية، واعتداء الغرب النصراني على المشرق الإسلامي، حيث تصدى المماليك لهذه الحملة دفاعا عن الديار الإسلامية، لكن ضعف توحيدهم أدى إلى عدم صمودهم أمام الجيوش

1- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، المرجع السابق، ص117.

2- الغالي غربي، المرجع السابق، ص ص176-177.

3- يسرى عبد الهادي، **أثر الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربية**، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف عمر سالم بابكور، جامعة أم القرى، 2001م، (مرقونة)، ص120.

4- محمد عودة، المرجع السابق، ص72.

5- جاد طه، المرجع السابق، ص 36.

الفرنسية، بينما استطاعت الدولة العثمانية إزاحة الخطر الفرنسي وإعادة الحكم الإسلامي في مصر مرة أخرى.وكان العثمانيون بمساوئهم أفضل بكثير من الحكم الفرنسي الذي جاء لإذلال المسلمين [1]، وبالتالي تم إحياء المجد الدين الإسلامي.

ز- النتائج العلمية:

كانت الحملة الفرنسية سببا في اتصال الحضارة العربية بالحضارة الأوروبية إذ رافقها **146** عالم فرنسي في مختلف المجالات، وما إن استقرت الحملة في مصر حتى بدا العلماء بدراسة أوضاع مصر الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والجيولوجية، وكل ما تعلق بماضي مصر وحاضرها[2] .

فقد استطاع العالم "**لوبير**" الأكبر ومساعدوه أن يضعوا خريطة دقيقة لمصر كما تحقق"**نوت وكورابوف**" أماكن أهم الجوامع في القاهرة وضواحيها، ورسم الضابط " **سوهيت** " مجرى النيل من القاهرة إلى العطف[3]، بالإضافة إلى ذلك تمكن "**شامبليون**" من فك رموز الكتابة الهيروغليفية في سنة **1822**م واكتشفت بذلك لغة مصر القديمة[4] .

ومن أهم الآثار الفكرية التي خلفتها الحملة نذكر "**المجمع العلمي Institué scientifique** " فقد ساهم في تطوير النواحي الاقتصادية والزراعية والعمرانية[5] ،كما خلف الكتاب الكتاب الضخم المعنون ب "**وصف مصر Description de l'Egypte** "[6] ،كما أسهم هذا المجمع في تأسيس مطبعتين واحدة بالعربية وأخرى بالفرنسية وهو ما نتج عنه صدور صحفا في مصر ومن أبرزها صحيفة "**le courrier de l'Egypte**" وكذلك صحيفة "**le décade Egyptienne** " فكانت الأولى سياسية والثانية أدبية علمية تصدر كل عشرة أيام[7] .

1- يسرى عبد الهادي، المرجع السابق، ص120.

2- محمد عودة، المرجع السابق، ص73.

3- صلاح أحمد هريدي ، المرجع السابق، ص ص335-336.

4- محمد عودة، المرجع السابق، ص73.

5- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 176.

6- **وصف مصر**: طبع هذا الكتاب في باريس بين عامين 1809-1828م، صدر في تسع مجلدات تحتوي النصوص، وأربعة عشر عشر مجلدا تحتوي الرسوم، فضم مجموعة من الأبحاث التي أعدها علماء عن تاريخ مصر وحضاراتها وجغرافيتها وإمكانيتها الزراعية والصناعية، فأصبح الكتاب مرجعا لكل الباحثين. ينظر، الغالي غربي، المرجع السابق، ص 176.

7- جاد طه، المرجع السابق، ص40.

على الرغم من إسهامات المجمع العلمي في تفعيل الحياة الفكرية، فإن العلماء المصريين لم يتعاونوا مع العلماء الفرنسيين؛ لأنهم في نظرهم كفار ومعادين للشريعة. لكن لم يمنع محاولاتهم الدؤوبة للإطلاع على فحوى أبنية المجمع العلمي[1].

نستنتج أن تأثير الحملة الفرنسية كان محدودا، فعلى المدى القصير الحملة مدتها كانت ثلاث سنوات، أما على المدى البعيد فإنها غيرت المفاهيم الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، لقول أحد الكتاب: لقد كان نزول نابليون أرض مصر فاتحة عصر جديد في نواحي عديدة فهو يؤرخ أول العهد الذي وقعت فيه القطيعة مع الماضي.

1- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص 234.

المبحث الثاني

مصر في عهد الوالي محمد علي باشا

أولا: التجربة التحديثية في مصر1220-1226هـ /1805-1811م.

ثانيا: تحركات محمد علي التوسعية 1226-1236هـ/1811-1821م.

ثالثا: المواجهة الأوروبية المصرية 1236-1245 هـ/ 1821- 1830م.

أولا– التجربة التحديثية في مصر 1220–1236هـ /1805–1811م:

1–ظروف مصر قبل تولية محمد علي باشا:

أضحت مصر خلال السنوات التالية من **1801–1805م**، مسرحا لصراع القوى المتنافسة الانجليز والمماليك والعثمانيين حول السلطة. فبعد انسحاب فرنسا سنة **1801م** تبعها الإنجليز بمقتضى صلح أميان **1802م**[1]، إلا أن أطماع الفرنسيين والإنجليز لم تنته بحيث لجأوا إلى الاحتلال التقليدي باستمالة عنصر المماليك[2].

فبعد وفاة المملوكي "**مراد بك**" اشتد الصراع على الزعامة بين اثنين من مماليكه هما "**محمد بك الألفي**" الذي كان يريد أن يستميل الإنجليز إلى صفه، خاصة بعد زيارته إلى لندن سنة **1802م** ومرة ثانية سنة **1803م** لكسب تأييدهم وإرجاع حقوقهم التي كانت قبل الحملة الفرنسية[3]، فرحبوا به على وفائه إليهم، لأنهم وجدوا ضالتهم فيه من أجل أن يسيطروا على سواحل مصر الشمالية في مقابل تعضيدهم المماليك وتوطيد شوكتهم في مصر، أما المملوكي الثاني هو "**عثمان بك البرديسي**" فكان يفضل الاستنجاد بفرنسا[4]، لذا نجد أن نظرة المماليك السياسية اختلفت خاصة بعد انهيار قوتهم.

كما ازداد ضعف المماليك أمام احتلال القوات العثمانية والبريطانية لمصر، حيث استطاعت الدولة العثمانية أن تسترجع هيبتها على ولاية مصر بتعيينها "**خسروا باشا**" واليا عليها في سنة

1– **صلح أميان**: تقع أميان شمال فرنسا أمضيت فيها معاهدة سنة 1802م بين فرنسا وبريطانيا وهولندا واسبانيا ونصت على إعادة مصر للحكم العثماني كما نصت على شروط خاصة بالمستعمرات التي أخذتها بريطانيا من هولندا. ينظر، شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، المرجع السابق، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، د.ط، المكتب المصري للتوزيع المطبوعات، مصر، 2000م،ص139.

2– عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص 120.

3– محمد صبري، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم**، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، 1926م، ص ص 31-32.

4– عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص 120.

1802م، أما بريطانيا حاولت استرجاع مكانتها باستمالة المماليك، لكن ضغط" **نابليون** "عليها جعلها تنسحب سنة **1803**م[1].

إلا أن ظهور هذه الفرقة الألبانية التي جاءت لإخراج الفرنسيين من مصر، عظمت شوكتها على مسرح الأحداث بقيادة "**طاهر باشا**" الذي كان من أشد الجنود قوة، إذ استطاع أن يسيطر على القاهرة، وتم تعينه من طرف العلماء (المشايخ) قائم مقام في **6** ماي **1803**م، ولكنه لم يلبث أن قضى عليه أعدائه في **26** ماي **1803**م، كما أجبروا "**خسروا باشا**" بالرحيل إلى دمياط، ثم أجبر على مغادرة مصر من طرف الضابط الذي قاد القوات البحرية بعد "**طاهر باشا**" وهو "**محمد علي باشا**" [2] في ماي **1803**م[3].

2-توليته:

استطاع "**محمد علي باشا**" أن يصل إلى الحكم بإرادة الشعب وعلى رأسهم طبقة العلماء الذين تأملوا فيه خيرا بتخلصهم من الفوضى السياسية والعسكرية والاقتصادية، التي جاءت جراء الحملة الفرنسية **1789**م، فعملوا على مساندته خاصة نقيب الأشراف "**عمر مكرم**"(**1162-1237**هـ/**1755-1822**م) – الذي كان من أبرز القيادات في عصره- الذي أدى دورا بارزا في تأييد "**محمد علي باشا**" من خلال جذبه مؤازرة العلماء له [4] .

وعليه لعبت هذه الشريحة دورا مهما في مصر خلال تلك الفترة، حيث أرسل العلماء طلبا إلى السلطان "**سليم الثالث**" (**1203-1221**هـ/ **1789-1807**م) بتولية "**محمد علي باشا**" واليا

1- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص ص 120-121.

2- **محمد علي**: ولد بمدينة قولة بمقدونية سنة(1182هـ/1769م)، كان أبوه ضابطا بتلك المدينة من أصل ألباني اشتغل بالتجارة التبغ ولم يتلق أي تحصيل دراسي، انضم في السلك العسكري وصار قائدا للفرقة، ثم قائد عثماني في مصر سنة 1803، ثم أسس دولة ملكية في مصر منذ 1805 الى1849م. ينظر، مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (1571م-1924م)**، د.ط، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص120.انظر إلى الملحق رقم1.

3- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص121.

4- الغالي غربي، المرجع السابق، ص179.

على مصر، فوافق على طلبهم يوم **24**صفر**1220**هـ الموافق **23** ماي **1805**م[1]، وبمجرد تسلمه زمام الحكم تعهد لهم يقول: «...**بأن يسير بالعدل وإقامة الأحكام والشرائع والإقلاع عن المظالم، وأن لا يفعل أمرا إلا بمشورة عمر مكرم ومشورة العلماء وأنه متى خالف الشروط عزلوه** »[2] إلا أنه خان ذلك العهد فيما بعد بقتل "**عمر مكرم**" سنة **1811**م.

لقد كانت الدولة العثمانية متخوفة من هذا الوالي ولم تكن خالصة النية نحوه –رغم إصدارها فرمان يخوله حكم ولاية مصر– ويتجلى ذلك في إرسالها " **قبطان باشا** " بعمارة بحرية تحمل 2500 من الجنود إلى مصر في سنة **1805**م ليترقب الأحوال فيها ويخبر السلطان على الأحداث التي يراها مهمة عبر قراراته النهائية هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاول السلطان أن ينقل "**محمد علي باشا**" عن ولاية مصر إلا أن تدخل العلماء مرة أخرى [3] قد جعل السلطان يصدر فرمانا آخر يثبته على ولاية مصر في **16** نوفمبر **1806**م [4]، نستشف من خلال الإجراءات التي اتخذها السلطان أنها تنم عن عدم اطمئنانه لتولية "**محمد علي باشا**" على مصر الذي كان ذو أصول يونانية وطموحات جامحة، ناهيك عن حنكته السياسية...إلخ.

3 – إصلاحات محمد علي باشا:

بعد أن استقرت الأمور في مصر انتهج "**محمد علي**" سياسته الإصلاحية الرامية لبناء دولته الحديثة، وقد شملت هذه التنظيمات مختلف القطاعات الحيوية من أجل النهوض بدولة قوية ومن أبرز هذه المجالات:

أ–المجال العسكري:

أدرك "**محمد علي باشا**" منذ توليته للحكم أنه لابد من إدخال النظام الحديث في المجال العسكري ليتمكن من صد الغارات الخارجية، خاصة بعدما شاهد التفوق العسكري الفرنسي بقيادة "**نابليون بونابرت**" نحو مصر، لذا حاول أن ينشئ جيشا عسكريا مدربا على منوال الجيش الأوروبي

1– جميل عبيد، **قصة احتلال محمد علي اليونان(1824م–1827م)**، د.ط، مطابع هيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت، 1990م، ص ص16–17.

2– عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ص 43.

3– عبد الرحمن الرافعي، **عصر محمد علي**، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص 28.

4– محمد علي الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، د.ط، دار الدعوة، د.ب، د.ت، ص302.

عن طريق استعانته بخبراء فرنسا، فشيّد مدارس حربية متعددة منها مدرسة المدفعية والمشاة وغيرهما[1]لينهض بالقوات العسكرية المصرية التي كانت تتكون من عناصر متباينة وغير منسجمة فيما بينها، مما يجعل من الصعب إطلاق كلمة جيش عليها[2].

استطاع "**محمد علي**" أن يكوّن جيشا نظاميا بفضل الضابط الفرنسي "**جوزيف سيف**"[3] الذي كان له دورا فعالا في تشجيعه على تطبيق مشروعه، حيث راح يدرب المماليك والسودانيين الذين تخرجوا على يديه في مدة لا تقل عن 3 سنوات، كما استعان "**محمد علي باشا**" بجنرالات وخبراء فرنسيين آخرين مثل "**كونيال جودين**"، وضباط الأسبان مثل "**سجوير**" الذي كان مسؤولا على سلاح المدفعية[4]، كذلك اهتم **محمد علي** بالجانب البحري، فأسس أسطولا منذ **1810** م، ليساعده على بسط نفوذه خارج مصر، ففي بادئ الأمر عمل على شراء السفن من أوروبا وبعدها اقتصر شراؤها على المصانع الفرنسية، كما أرسل بعثات إلى فرنسا لتلقي فنون الحرب وعمل على جلب مدربين أكفاء لولايته كان أبرزهم"**ميسيو سريزي**"[5]، وعليه كان الجانب العسكري من أهم الركائز لبناء مصر الحديثة.

ب- المجال الاقتصادي:

سعى "**محمد علي باشا**" لتطوير الاقتصاد المصري الذي كان في غالبه اقرب إلى اقتصاد الحاجة منه إلى اقتصاد السوق، بسب الظروف السياسية خلال الحكم المملوكي العثماني التي أدت إلى ترك الفلاحين أراضيهم من جراء المعارك والسلب والضرائب، فاهتم بالقطاعات التالية:

1- صلاح أحمد هريدي ، المرجع السابق، ص144.

2- سلوى العطار، **التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي**، ط1، دار النهضة العربية للطبع والنشر، القاهرة، 1989م، ص 61.

3- **جوزيف سيف**: ولد هذا الجندي في مدينة ليون الفرنسية في سنة 1788م، ابتدأ بالخدمة البحرية، حارب الإنجليز في موقعة الطرف الأغر 1805، انظم إلى جيش نابليون البري، واجه عدة معارك ما عدا معركة واترلو سنة1815م فاعتنق الإسلام في مصر، وترقى في الجيش المصري إلى أعلى مراتب فكان يعرف بعد إسلامه باسم "سليمان باشا الفرنساوي". ينظر، عمر الإسكندرى، سليم حسن، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص161.

4- عمر طوسون، **صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي الجيش المصري البري والبحري**، ط2، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1996م، ص ص8-13.

5- عمر الإسكندرى، سليم حسن، المرجع السابق، ص ص164-165..

ب–1– الميدان الزراعي:

اعتنى بهذا الجانب منذ توليته على مصر بحكم أن الاقتصاد المصري قائم على الزراعة، وقد اتبع أحدث الأساليب الهندسية المستخدمة من جانب الدول الأوروبية، فاستعان بمهندسين الفرنسيين أشهرهم "**ألفنون دولينان**" الذي جمع حوله عددا من المساعدين الذين اختصوا بتطوير الزراعة المصرية[1].

كما اهتم بالري وشق العديد من الترع، ووسع نطاق الزراعة بتخصيصه الأراضي واسعة، لزراعة التوت، كما اهتم بزراعة القطن التي أضحت أهم المحاصيل الزراعية لاقتصاد مصر، إضافة إلى إحداثه لتغييرات على نظام التملك[2]، مقابل إلغاء نظام الالتزام [3].

ب–2– الميدان الصناعي:

كما أولى "**محمد على باشا**" اهتمامه بالصناعات فعمل على إقامة العديد من المصانع والورشات في مختلف جبهات مصر، كمصانع الأقمشة الحريرية، ومعامل السكر والنيلة والصابون [4] فبنى قاعدته الصناعية باستعانته بخبرة الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة أمثال "**كلوت بك**" و"**جوميل**" وبذلك ادخل الصناعات الحديثة تحت سيطرة الدولة، كما انتهج طريق التنمية المستقلة القائمة على التمويل الذاتي باعتماده على الموارد الداخلية للدولة، وتمويله لصناعة من عدة مصادر ترتكز أرباحه من المشروعات الصناعية القائمة[5].

1– جون مارلو، **تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية 1798 م إلى الاحتلال البريطاني1882م**، تر، عبد العظيم رمضان، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967م، ص255.

2– محمد صبري، المرجع السابق، ص ص49، 50.

3– **الالتزام**: هو نظام يعني جباية الأموال والضرائب من عامة الشعب لإرسالها إلى السلطان العثماني، ويتولى جبايتها طبقة الأثرياء، حيث يقومون بدفع مبالغ مالية لدولة، مقابل تحصيلهم للضرائب من الموظفين وكثيرا ما يستعملون أسلوب التهديد ويضاعفون المبلغ. ينظر، جميل موسى النجار، **الإدارة العثمانية في ولاية بغداد**، ط1، د.د.ن، القاهرة، 1991م، ص ص25–26.

4– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 491.

5– عبد المجيد راشد، " **تجربة محمد علي وبناء الاقتصاد المصري الحديث** "، 2006م، ص ص 5–6.

ب-3- الميدان التجاري

وجه "**محمد علي باشا**" اهتمامه البالغ بالتجارة الداخلية والخارجية، فاعتنى بتطوير وسائل النقل وطرق المواصلات لنقل البضائع من مراكز إنتاجها إلى مواطن تصريفها وتسويقها[1]، وبناء أسطول تجاري وإصلاح الموانئ وتطهير البحر الأحمر من القرصنة، لمرور التجارة بدل من الدوران حول افريقية عن طريق رأس الرجاء الصالح، فتحول الاقتصاد المصري من اقتصاد اكتفاء إلى اقتصاد تبادل، وبالتالي تتجه مصر إلى السوق العالمي[2].

ج-المجال التعليمي:

كما اهتم بالتربية والتعليم بإنشائه المدارس في مختلف التخصصات مثل مدرسة الطب سنة **1827**م ومدرسة الصيدلة والألسن وغيرها[3]، كما أظهر إعجابه بالغرب من خلال إرسال بعثات علمية فكانت أولى بعثته في سنة **1809**م، وثانيتها في سنة **1813**م إلى مدن إيطاليا خاصة ميلان وفلورنسا من أجل دراسة فن الطباعة وبعض الفنون العسكرية وغيرها، كما أرسل بعثة الأخرى في سنة **1818**م، ومن أبرز تلاميذ هذه البعثة "**عثمان نور الدين أفندي**"[4]، فبالرغم من أن "**محمد علي**" لم يسلك طريق التعلم، إلا أنه كان رجل ذو كفاءة وقدرة وهبه الله إياها، بقوله تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[5].

1- الغالي غربي، المرجع السابق، ص182.

2- عبد المجيد راشد، المرجع السابق، ص7.

3- جميل بيضون وآخرون، **تاريخ العرب الحديث**، ط1، دار الأمل، د.ب، د.ت، ص87.

4- جمال الدين الشيال، **تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي**، د.ط، دار الفكر العربي، مصر، 1951م، ص ص12 -13.

5- سورة البقرة، الآية 269.

4- علاقاته الخارجية:

اتسمت العلاقات المصرية الأوروبية في القرن **19**م بالتوتر وعدم الاستقرار وذلك على إثر مخلفات الحملة الفرنسية على مصر، فتولية "**محمد علي باشا**" شكلت تناقضات في مواقف الدول الأوروبية وبشكل خاص بريطانيا وفرنسا.

أ- بريطانيا:

كانت بريطانيا مصدر قلق "**لمحمد علي باشا**" فعلاقاته معها تميزت بعدم الثبات يشوبها التوتر إذ اختلفت هذه العلاقة شكلا ومضمونا عن باقي العلاقات الأخرى، فقد مثلت بريطانيا طرفا فعال في معادلة الأمن الأوروبي لكونها أكبر قوة بحرية في العالم والمسيطر الفعلي على البحر المتوسط بعد هزيمة الأسطول الفرنسي في معركة **الطرف الأغر** في سنة **1806**م[1]، وأثرت هذه الموقعة على علاقتها مع مصر ففي أقل من عشر سنوات تدخلت بريطانيا في الشؤون المصرية ونذكر منها في معركة أبي قير سنة **1798**م، وفي إجلاء الفرنسيين في سنة **1802**م، إضافة إلى حملة **فريزر**سنة **1807**م[2]، كما أنها حرضت المماليك وساندتهم وهذا ما جعل "**محمد علي باشا**" يدبر لهم مذبحة القلعة سنة **1811**م[3].

تعتبر بريطانيا من أشد أعداء "**محمد علي باشا**" وأكثرهم خطرا عليه وقد فسّر البعض ذلك بأنه راجع لعدم رضاها عن أساليبه التي رأوا فيها ظلما والإرهاق للرعية المصرية ولهذا وجدوا أن التوازن الدولي يقتضي حماية الدولة العثمانية والوقوف في وجهه، وما زاد في العلاقة العدائية هو ما أشيع أن

1- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص ص62-63.

2- **حملة فريزر1807م:** قام بها الإنجليز وكان الغرض منها هو احتلال الإسكندرية لمنع الفرنسيين من النزول فيها، ولضمان قاعدة بريطانية في المنطقة كانت تعتمد على مساندة المماليك ولكنها فشلت وتم عقد الإنفاق البريطاني المصري. ينظر، عبد العظيم رمضان، **تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م، ص ص81-86.

3- **مذبحة القلعة:** في يوم الجمعة 2 مارس1811م أقام محمد علي حفلا رسميا للاحتفال بتعين ابنه طوسون قائدا للقوات المصرية في شبه الجزيرة العربية، فوجد الباشا فرصة مناسبة لتخلص من المماليك في مذبحة كبيرة. ينظر، خالد فهمي، **كل الرجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة**، تر، شريف يونس، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2001م، ص119.

"**محمد علي باشا**" آلة من آلات الفرنسية[1]، أي صنيعة من صنائعها وهذا ما جعل بريطانيا تتبع سياسة حذرة في علاقتها معه.

نظرت بريطانيا إلى إصلاحات "**محمد علي باشا**" نظرة قلق لأنها عرفت أن كل إصلاح يقوي أحد أجزاء الدولة العثمانية على طريق الهند يشكل خطرا عليها، وخصوصا بعد أن صرّح "**محمد علي باشا**" لقنصلها بأنه يأمل في زيادة جيوشه إلى 40000 ألف جندي تقريبا مما جعلها تفكر في محاربته والقضاء عليه، فهي تعتبر الوقوف في وجه كل إصلاح وكل تقدم في البلاد الواقعة على هذه الطريق من أسس سياستها الثابتة[2]. إذن فلإصلاحات في مصر كانت سببا من أسباب توتر العلاقات المصرية البريطانية، بالرغم من محاولات "**محمد علي باشا**" المستمرة لتحقيق تعاون مع الأخيرة إلا أنها باءت بالفشل، واستقرت العلاقة بينهما على نحو من التقارب دون تحقيق تعاون متبادل.

ب – فرنسا:

تطلع "**محمد علي باشا**" إلى حليف أوروبي آخر يستند إليه بعدما تأكد بأن انجلترا لن تقدم له الدعم فصوّب نظره نحو فرنسا، خاصة وأن هذه الأخيرة عملت على تحطيم قرارات مؤتمر فيينا سنة **1815م** الذي أذهب هيبتها الدولية، وسعت إلى إقامة علاقات مع مصر بانتهاجها سبل جديدة ومختلفة عما سبق، واعتمادها على التواجد المعنوي والعملي والثقافي وذلك عن طريق إرسال مهندسين وخبراء في مجالات عدة نحو مصر، فأضحى الطابع الفرنسي غالبا في عملية التطوير والتجديد في عهد "**محمد علي باشا**" [3]، وبذلك تمكنت فرنسا عن طريق الاتفاق معه أن تجد في مصر نقطة الارتكاز لها ضد المصالح البريطانية في المنطقة [4].

كما كان موقف فرنسا اتجاه "**محمد علي باشا**" متناقضا، فقد جاهرت بالإعجاب به ومناصرته، لكن عطفها اقتصر على التمنيات الطيبة له، وفي نفس الوقت خذلته حين احتاج إليها في

1- حسين مؤنس، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، ط2، مطبعة الحجازي، القاهرة، 1938م، ص ص 154-156.

2- نادر العطار، **العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا**، د.ط، د.د.ن، د.ب، د.ت، ص ص36-37.

3- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص ص65-66.

4- بير رونوفان، **تاريخ العلاقات الدولية (1815-1914م)**، تع، جلال يحيى، ط2، دار المعارف، مصر، 1971م، ص ص128-129.

كثير من المواقف، وهذا ما عبر عنه القنصل الفرنسي عندما أراد أن يبرر موقف حكومته قائلا:**«...إن المسألة ليست مصرية بل شرقية وأوروبية أيضا، أن فرنسا أيدتك ولكنها لم تستطع أن تتحلل من روابط السياسية التي تربطها بأوروبا وانجلترا خاصة »**، فرد "**محمد علي باشا**" على هذا الموقف قائلا: « **لست اطلب أن تتخلى فرنسا عن أحلافها لخاطري وإنما وددت لو لم تقف مني موقف العداء** » فنرى أن "**محمد علي باشا** "كان يريد استمالة فرنسا إلى جانبه من اجل تخفيف التحالفات الدولية ضده [1].

وتأكد "**محمد علي باشا**" من خلال الحملة الفرنسية على مصر مدى تأثيرها في تكوين المماليك والنظم الحديثة، فشرع في تجسيد سياسته إصلاحية واسعة النطاق باستعانته بخبرائها [2]، وهذا ما فتح المجال أمام تنمية العلاقات المصرية الفرنسية فوصل التعاون بينهما إلى أعلى المستويات، وبالرغم من ذلك فإن السياسة الفرنسية كانت تهدف إلى بناء وجود سياسي وعسكري واقتصادي لها في مصر.

ثانيا– تحركات محمد علي التوسعية 1225–1236هـ/ 1811–1821م:

1– تمرد الحركة الوهابية:

أ– التدخل المصري لإخمادها:

استفحل أمر الحركة الوهابية في مطلع القرن19م، فكانت حركة الإصلاحية سياسية دينية ظهرت في القرن 18م في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية وهي تنتسب إلى الشيخ " **محمد بن عبد الوهاب** " الذي استمد تعاليمه من "**ابن حنبل**"، فكانت الحركة تهدف في الأساس إلى طرد الأتراك وتوحيد الأقطار العربية تحت رايتها[3]، وعرفت انتشارا واسعا وأصبحت بذلك تشكل خطرا على الدولة العثمانية، فكانت سيطرتها على امتداد الجزيرة العربية من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها.

1– شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص ص156–157.

2– محمد صبري، المرجع السابق، ص 38.

3– ياسين بن علي، "خروج الوهابية على الخلافة العثمانية"، مجلة الزيتونة، د.ط، 2014م، **ينظر** إلى الموقع: **www.azeytouna.net**. ص ص7 –11.

أثارت سياسة "**محمد علي باشا**" العسكرية السلطان العثماني "**محمود الثاني** " (**1222-1244**هـ الموافق **1808-1829**م) فخشي من وجود الجيش المصري، لذا فكر في ضرب القوى الثورية التي نشأت في نجد، كما رأى "**محمد علي باشا**" فيها مدا لنفوذه وحكمه إلى إقليم جديد من العالم العربي، الإضافة إلى التخلص من الجنود الألبانيين الذين كانوا يثيرون له المتاعب بتمردهم[1].

وفي سنة **1811**م، امتثل "**محمد علي باشا**" للسلطان العثماني بقيامه لهذه المهمة من أجل رفع المذلة والمهانة لإنقاذ الأرض المقدسة من جهة، ومن جهة أخرى تخوفه من الانتشار هذه الدعوة ووصولها إلى أرض مصر [2]، فللقضاء على هذا المذهب المتطرف أرسل "**محمد علي باشا**" حملة مصرية بقيادة ابنه "**طوسون باشا**"[3].

وقصة توجه القوات المصرية نحو شبه الجزيرة العربية تتلخص في أن "**طوسون باشا**" سار في حملة كبيرة عن طريق البحر الأحمر إلى ينبع، ومن هناك توجه نحو المدينة المنورة فاستولى عليها بشيء من الصعوبة ثم دخل مكة ولحق به أبوه[4]، وتتابعت الحوادث إلى أن زحف "**إبراهيم باشا** "عن طريق (القنا، قصير، ينبع) حتى وصل الدرعية فحاصرها في سنة **1818**م، وأضطر"**عبد الله بن سعود**" الحاكم الوهابي إلى الاستسلام[5]، ففتح باب المفاوضات في **9** سبتمبر **1818**م) واتفق الطرفان على تسليم الدرعية للجيش المصري مع تقديم الاعتذار للسلطان العثماني من قبل الحاكم الوهابي، بإضافة إلى أن يردّ الوهابيين الكوكب الدري وما بقي بحوزتهم من التحف والمجوهرات التي أخذوها حين استولوا على المدينة المنورة[6]، وعلى إثر ذلك تمّ التفاوض بين الطرفين.

1- بيضون جميل وآخرون، المرجع السابق، ص90.

2- السيد فرج، **حروب محمد علي**، د.ط، مطبعة التوكل بالجمامين، د.ب، 1999م، ص74.

3- **طوسون باشا:** هو ابن محمد علي باشا، قاد حملة غير ناجحة في نظر والده بالساحل الشمالي، قام بتنفيذ أوامر والده في توزيع العساكر والقادة المتمردين في شمال البلاد، توفي فجأة بالطاعون في قصر برينبال، وذلك في 28 سبتمبر 1816م. ينظر، خليل بن أحمد الرجبي، **تاريخ الوزير محمد علي**، تح، دانيال كربسبوس وآخرون، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997م، ص132.

4- نادر العطار، المصدر السابق، ص 37.

5- جورج أنطنيوس، **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**، تر، ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص83.

6- محمد سهيل طقوش، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط3، دار النفائس، لبنان، 2013 م، ص349.

إلا أن التوسع المصري في الجزيرة العربية والخليج العربي، لم يدم طويلا بسبب الضغوطات الخارجية التي واجهها "**محمد علي باشا**"، من طرف العثمانيين والبريطانيين والتي دعت بضرورة انسحاب قواته التي وصلت حتى منطقة الإحساء في سنة **1819**م، فستجاب "**محمد علي باشا**" بجلاء جيشه من هذه المناطق تاركها للقوات العثمانية القادمة من العراق، والتي حلت محلها مما أدى إلى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار بسبب الانسحاب المصري الذي ترك فراغا في المنطقة[1]، هكذا انتهت الحرب الوهابية التي خاض غمارها الجيش المصري، وعاد "**إبراهيم باشا** "إلى أرض مصر، وبالرغم من نجاحه في سحق هذه الحركة، إلا أنه لم يقضي عليها بشكل نهائي.

ب- المواجهة البريطانية المصرية:

لم تتدخل القوى الأوربية مباشرة في الحركة الوهابية خلال قيام "**محمد علي باشا**" بتنفيذ مهمته التي أوكلها السلطان العثماني إليه لأن هذه الحملة على شبه الجزيرة العربية لا تتعارض مع المصالح الأوروبية من جهة، ومن جهة أخرى فإن تبعيته كانت لا تزال قائمة للدولة العثمانية ولهذا فإن البعض رأى في مهمة "**محمد علي باشا**" على أنها إعادة لمجد الدولة الإسلامية من الناحية السياسية، في حين أراد الوهابيون أن يعيدوه من الناحية الدينية[2]، ولكن الظروف السياسة قضت أن تكون القوتان ضد بعضها البعض.

و مما لا شك فيه أن توسعات "**محمد علي باشا**" في شبه الجزيرة العربية أدت إلى تغيير مواقف الدول الأوروبية وبشكل خاص بريطانيا، فقد نتج عن التواجد المصري في المنطقة نتائج هامة فمنها إعادة مكانة الخلافة العثمانية، والأهم نتيجة هي رهبة الإنجليز من قوة "**محمد علي باشا**" الذي أصبح يسيطر على البحر الأحمر، وما زاد في تخوفهم هو إصداره أمرا يمنع السفن من بمباي أن تتعدى جدة[3] شمالا ثم إن دخول القوات المصرية إلى اليمن جعل بريطانيين يشعرون بأنهم تنازلوا عن

1- محمد حسن العيدروس، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، ط2، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ب، 1998م، ص ص127-128.

2- نادية محمود مصطفى، **العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ا لقاهرة، 1996م، ص ص 264 -265.

3- **جدة**: تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهي أحد أهم موانئ الحجاز، وقد سميت بذلك الاسم نسبة إلى جدة بن حزم بن زيان بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن القصاعة الذي ولد فيها. ينظر، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، دار صادر، بيروت ، 1977م ،ص ص 114-115.

البحر الأحمر إلى مصر، وهذا ما جعلهم يعارضون القوات المصرية ويدخلون في مواجهة حربية مع "**محمد علي باشا**" باستمالة بعض مشايخ العرب، فقد ضربوا منطقة مخا بالمدافع تأييدا لطلباتهم كما عقدوا معهم معاهدات أكسبتهم بعض الحقوق والامتيازات في البلاد[1].

وبالرغم من ذلك فإن توسعات "**محمد علي باشا**" في شبه الجزيرة العربية، قد شكلت خطرا كبيرا على المصالح البريطانية في المنطقة وخاصة بعد سيطرته على طريق البحر الأحمر.

إن النتائج الجيوسياسية والاقتصادية التي نتجت عن بسط سلطة "**محمد علي باشا**" على الجزيرة العربية والبحر الأحمر، أدت إلى اصطدام مباشر بالمصالح البريطانية، لذا حاولت بريطانيا بعد أن استقر وضع الوالي المصري في الجزيرة العربية عام **1818**م، أن تفتح ثغرة في التوازنات الدولية على إثر الوضع المستجد، عن طريق عرضها عليه إقامة تحالف فيما بينهما على حساب الدولة العثمانية، وكان طبيعيا أن يقابل "**محمد علي باشا**" هذا العرض بالرفض[2]، باعتباره الحامي الأكبر للدولة العثمانية في الجزيرة العربية لمواجهة السياسات الاستعمارية الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا.

إلا أن محاولة الحصول بريطانيا على تعاون عسكري مشترك مع المصريين في الخليج العربي باءت بالفشل بسبب رفض "**محمد علي باشا**" تقديم أي مساعدات للاستعمار البريطاني في احتلال ساحل عمان على اعتبار ذلك أعمالا تخريبية[3]، كما أنها تتعارض مع أهداف الدولة العثمانية لذلك رفض المقترحات البريطانية.

فكانت بريطانيا تحرص على إخضاع سواحل الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية تأمينا لطرق تجارتها، لذلك سعت إلى إيجاد تحالف مع "**محمد علي باشا**" من أجل تدمير موانئ الإمارات التي كانت سفنها تهدد مصالحها في المنطقة[4]، إلا إن المساعي البريطانية باءت بالفشل بسب رفض "**إبراهيم باشا**" لهذا التحالف الذي تتعارض مع مصالحه في المنطقة.

1- نادر العطار، المصدر السابق، ص ص 37-38.

2- حسن الضيفة، **دولة محمد علي والغرب(الاستحواذ والاستقلال)**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2002 م، ص154.

3- محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص130.

4- نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص 265.

2- التوسع نحو السودان:

كانت حملة **محمد علي باشا** على السودان أكبر حملة في عهده خصوصا وأن السودان كانت تمثل عمق مصر الإقليمي، وجزء لا يتجزأ منها، فهما يشكلان وحدة إقليمية متكاملة. وبالتالي فإن حملته ناحية السودان تدخل في إطار سياسته التوسعية على خلاف الحرب الوهابية التي كانت بناءا على طلب من الدولة العثمانية.

أ- أسباب التوسع:

كان توجه "**محمد علي باشا**" نحو فتح السودان لأسباب متعددة، منها ما تعلق بالعمق الإستراتيجي والامتداد الطبيعي لمصر، لتحقيق السيطرة الكاملة على البحر الأحمر، وبعد أن ن5جح في القضاء على السعوديين وبسط نفوذه على الساحل الشرقي [1]، حاول **محمد علي** السعي لإعادة البلاد إلى حدودها الطبيعية للمحافظة على كيانها القومي خاصة بعدما أصبحت بريطانيا تسعى لاحتلال منابع النيل.

ومنها ما تعلق بالناحية الاقتصادية والعسكرية، وتمثلت هذه الأخيرة بتجنيد السودانيين في الجيش المصري النظامي لما يتميزون به من الصبر والشجاعة وطاعة للرؤساء[2]، ثم رغبته في معاقبة المماليك الفارين على إثر مذبحة القلعة **1811**م[3].لكي لا يقوى نفوذهم ويصبحون يشكلون عليه خطرا حقيقيا يهدده من الخلف.

أما من الناحية الاقتصادية، فكانت من أجل اكتشاف مناجم الذهب والألماس التي أشيع وجودها في بعض نواحي السودان، زيادة على ذلك إقامة روابط اقتصادية بين البلدين وذلك بتوسيع نطاق المعاملات التجارية بينهما[4]، على اعتبار مصر والسودان وحدة اقتصادية متكاملة لا يمكن تجزئتها، فيتم الانتعاش الاقتصادي عن طريق التبادل التجاري وبالتالي تحقيق الاكتفاء الذاتي إلى حد

1- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص48.

2- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص156.

3- بيضون جميل وآخرون، المرجع السابق، ص11.

4- عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، **وثائق ونصوص في تاريخ الدولة العلية العثمانية وتاريخ مصر العثمانية**، د.ط، د.د.ن، د.ب، د.ت، ص35.

بعيد، كما تطلع "**محمد علي باشا**" لعمل استكشافات داخلية في السودان تؤدي للكشف عن منابع النيل[1]، وبهذا تصبح مصر والسودان أهم القواعد الاقتصادية في المنطقة.

وانطلاقا من هذه الأسباب، أعدّ "**محمد علي باشا**" جيشا بريا بقيادة ابنه "**إسماعيل باشا**"، ورافق الحملة مجموعة من العلماء ثم أرسل جيشا ثانيا بقيادة ابنه "**إبراهيم باشا**" فسار محاذيا للنيل الأبيض بينما سار إسماعيل محاذيا للنيل الأزرق، ولكن سرعان ما عاد "**إبراهيم باشا**" بسبب مرضه [2] ومات "**إسماعيل باشا**" في مؤامرة دبرها له "**نمر ملك شندي**"، فأرسل "**محمد علي باشا**"صهره "**محمد الدفتر دار**" لانتقام منه، ولكن الأجل سبقه فتخلى من انتقامه، ولم يزل الباشا يمدهم من مصر بالقوات والعساكر حتى دخلت كافة السودان في حوزته وجعل من مدينة الخرطوم محل حكومة تلك البلاد وعرفت منذ ذلك الوقت "**بحكمدارية السودان** "[3].

فاستطاع "**محمد علي باشا**" أن يوطد الأمن ويحقق الاستقرار داخل السودان، فأدخل فيها الكثير من مظاهر الحياة العصرية الحديثة، وحقق على إثرها التقارب بين الشعبين المصري والسوداني.

ب- الموقف البريطاني:

وبالرغم من أن غزو" **محمد علي باشا**" للسودان لم يكن متوقع أن يثير حساسيات القوى الكبرى، إلا أن الطرف الأوروبي لم يغض النظر على هذا التوسع خاصة بريطانيا فقد عارضت بشدة مشاريع **محمد علي باشا** في إفريقيا، وهذا ما نتج عنه حالة من التوتر بين مصر وبريطانيا[4]، فكانت الأطماع البريطانية سابقة عن الأطماع الأوروبية ويظهر ذلك منذ حملة **فريزر** على مصر **1807**م، فقد أرسلت بريطانيا إلى السودان "**اللورد فلانسيا**" لزيارة الحبشة وبذلك تفتح باب التحالفات ضد

1- محمد عبد الفتاح أبو الفضل، **الصحوة المصرية في عهد محمد علي**، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، د.ب، 1998م، ص 93.

2- بيضون جميل وآخرون، المرجع السابق، ص91.

3- سعادة علي باشا مبارك، **من الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ج1، مطبعة بولاق، د.ب، 1306هـ، ص 73.

4-نسيم مقار، **الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر والسودان**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985م، ص ص34-35.

"**محمد علي باشا**" سواء بتحالف مملوكي بريطاني أو مملوكي حبشي أو مملوكي سوداني [1]، وهذا سيؤثر بلا شك على وضعية الدولة المصرية التي كانت قواتها موزعة في بلاد العرب.

فنجد أن المعارضة البريطانية لهذا التوسع تظهر بشكل واضح في سفر القنصل البريطاني "**هنري سالت Henry Salt**" من مصر إلى لندن أثناء فترة التوسع المصري نحو السودان وذلك لإجراء محادثات مع حكومته لدراسة هذا التوسع ويظهر ذلك في قوله :«**إن رجلنا العظيم هنا (محمد علي باشا) يلح من أجل اتصالات لا يمكن كتابتها على الورق** »، كما عمل "**محمد علي باشا**" على كسب ود بريطانيا حتى لا تعترض طريقه نحو السودان وقد جاء على لسانه **يقول:« رغم أن هذه المنطقة مليئة بالذهب والمجوهرات، وإن اقتحامها مؤكد (مختار) التخلي عنها محافظة على علاقته ببريطانيا العظمى** » وجاء رد القنصل البريطاني بقوله :« **لم أعهده مطلقا يعطي كلمة لنا وهو لا يعتزم الوفاء بها** »[2]، وعليه فإن توسع "**محمد علي باشا**" في السودان يعتبر خيانة لبريطانيا حيث انه وعدهم بالمشورة ولقول أحدهم الوعد على الحر دين، وبالتالي يتضح لنا أن العلاقة البريطانية المصرية كانت على توافق وتشاور بينها.

وإن صح القول بأن ضم السودان إلى مصر لم يستهدف مواجهة النفوذ البريطاني بشكل مباشر إلا أن هذا التحول حمل في طياته تحولات هامة في الخريطة الجغرافية والسياسية والاقتصادية، مما يشير إلى بروز قوة سياسية جديدة قادرة على مواجهة المخططات البريطانية في شبه الجزيرة العربية وفي العمق الإفريقي[3]، ناهيك عن انعكاسات تنامي هذه القوة على ما ترسمه بريطانيا من سياسات بالنسبة للدولة العثمانية ككل بإتباع سياسة التغلغل المتدرج، وهذا بما يخدم إستراتيجية استنزافها للدولة العثمانية.

1- جلال يحيى، **مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر**، د.ط، دار المعارف، د.ب، 1984م، ص 31.

2- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص49.

3- حسن الضيفة، المرجع السابق، ص156.

ثالثا– المواجهة الأوروبية المصرية 1236–1245هـ/ 1821–1830م:

1– ثورة اليونان:

أ– تمرد اليونانيين:

كانت اليونان جزءا من السلطنة العثمانية، بحيث دخلها السلطان "**محمد الفاتح**"في سنة 1453م، وقد ظلت تحت الحكم العثماني إلى غاية الربع الأول من القرن 19م، حيث ظهرت فيها جمعيات ثورية تهدف إلى محاربة الأتراك، وكان لهذه جمعيات الثورية اليونانية مراكز في روسيا والنمسا، ولعل أهمها جمعية **هيتريا**[1] التي أشعلت فتيل الثورة فيما بعد، فقد عرفت انتشارا واسعا وتشعّبت فروعها في جميع أنحاء اليونان[2]، خاصة وأن اليونانيين عرفوا مرحلة الرقي والثراء وتاقت أنفسهم إلى الحرية فبدؤوا ينظمون جهودهم للتخلص من الحكم العثماني.

فنما الشعور القومي في اليونان بسبب تأثرهم بأفكار الثورة الفرنسية من جهة، ومن جهة أخرى المساندة المادية والمعنوية من قبل الجمعيات الأهلية والتي تشكلت في الخارج تحت اسم محبي اليونان، إضافة إلى تشجيع بعض الدول الأوروبية خاصة روسيا على تأييد اليونانيين في ثورتهم ضد الحكم العثماني[3]، خاصة اشتداد مساوئ هذا الأخير التي أثرت سلبا عليهم وجعلتهم يثورون وينادونا بالاستقلال.

فاندلعت الثورة اليونانية وكان طابعها ديني فكان أول من أعلنها هو "**القس جرمانوس**" أسقف باتراس الواقعة في شمال مورة يوم **25** مارس **1821**م واتخذ لها شعارا (الإيمان–الحرية–الوطن)، فلبى اليونانيون دعوة الثورة وأصبحوا معادين للأتراك بتمردهم وعصيانهم، وتمكنوا من الاستيلاء على

1– جمعية هيتيريا: "Ethniki Hetairia" تأسست في أوديسا سنة 1814م، كانت جمعية سرية من أهدافها إحياء الإمبراطورية البيزنطية، وأخذ إسطنبول من الأتراك وإخراجهم من أوربا. ينظر، يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر، عدنان محمد سلمان، مر، تن، محمود الأنصاري، مج1، منشورات مؤسسة الفيصل لتمويل، إسطنبول، 1988م، ص671.

2– السيد فرج، المرجع السابق، ص ص82 –83.

3– عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، **العثمانيون بين أوروبا والعرب ومحمد علي**، د.ط، د د ن، القاهرة، 2001 م، ص72.

السفن العثمانية من ناحية البحر، أما من ناحية البر استولوا على أهم مدن المورة واحتلوا عاصمتها **تريبوليتا** كما نادوا بالاستقلال سنة **1822**م[1].

ب–التدخل المصري:

رأى السلطان العثماني "**محمود الثاني**"[2] ضرورة التصدي للثورة اليونانية، فارسل جيشا بقيادة "**خورشيد باشا**"[3]سنة **1822**م ولكنه فشل في القضاء عليها، وهذا ما جعل السلطان "**محمود الثاني**"، يلجأ إلى القوات المصرية للقضاء على الثورة، بعدما أشار عليه السفير النمساوي "**مترنيخ**" الاستنجاد به، فأصدر السلطان فرمانا يقضي بتعيين "**محمد علي باشا**" حاكما على كريت ويخوله المورة[4]، فرد عليه الوالي المصري على هذا العرض بالقبول، في حين وجدها فرصة لتوسيع نطاق حكمه ونشر نفوذه وتثبيت مركزه السياسي حيال الدولة العثمانية.

وأمام هذا الوضع أظهر "**محمد علي باشا**" رضوخه وامتثاله للسلطان العثماني وتمثل ذلك في رسالته قائلا: « **إني بصفة كوني خادما لولي نعمتي صاحب الشوكة السلطان المعظم فإنه يمكن للدولة العلية أن تطلب جميع ما تريد وإني مستعد للقيام به وفاء بحق الدين والملة، وإن ذلك عندي من الأمور المعتنى بها، وإني لا أ تأخر عن بذل نفسي في سبيل تقوية شأنها وإعلاء كلمتها ورفع قدرها** »[5]، فهنا نتساءل لماذا لبى "**محمد علي باشا**" المشروع الذي لم يكن داخل مجال نفوذه التقليدي؟

1- محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص 124.

2- **محمود الثاني** (1223هـ-1255هـ/1808-1839م): هو ابن السلطان العثماني عبد الحميد الأول ولد سنة 1785م باسطنبول، تلقى دراسة علمية جيدة مثل باقي السلاطين، تولى السلطة وسنه 23 سنة حيث حكم مدة 31 سنة، تميز عهده بعدة أحداث هامة منها، حربه مع روسيا سنة 1812م التي انتهت بتوقيع معاهدة بكرش وما كادت تنتهي حتى ظهرت الحركة الوهابية وبعدها ثورة اليونان.ينظر، عبد القادر أوغلو، **السلاطين العثمانيون**، تر، محمد جان، د.ط، دار سحنون، د.ب، 1990م، ص 74

3- **خورشيد باشا**: هو خورشيد أحمد باشا كان باشا الإسكندرية في سنة 1803م قبل تعيينه حاكما لمصر كلها في سنة 1804م فترته تداخلت مع فترة خسروا باشا، وكذلك علي باشا الجزايرلي. ينظر، خليل بن أحمد الرجبي، المصدر السابق، ص ص79-80.

4- السيد فرج، المرجع السابق، ص ص 83-84.

5- عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، **وثائق ونصوص**...، المرجع السابق، ص ص72 -73.

نستشف أن هدفه من القضاء على الثورة في اليونان، هو خدمة مصالحه بالدرجة الأولى وذلك لأن ظهور الأسطول اليوناني في حوض البحر الأبيض المتوسط يهدد مشروعاته التجارية لذلك أراد إبعاد القوى الأوروبية وخاصة روسيا عن مرحلة نشوء مصر الفتية[1]، كما أن اليونان كانت قوة أوروبية صغيرة أثبتت مهارتها في العمل السياسي والتجاري من قبل في قلب العالم العربي الإسلامي.

فكان التدخل المصري في القضية اليونانية بشكل محدود سنة **1822**م، حيث اقتصر على إرسال "**محمد علي باشا**" حملة بقيادة صهره "**حسن باشا**"، الذي استطاع تحقيق نصرا فأخضع جزيرة كريت، وأمام هذا الانتصار استعد "**محمد علي باشا**" لأن يرسل حملة بقيادة ابنه "**إبراهيم باشا**"[2] إلى مورة التي تمثل معقل الثوار وكان ذلك في 19 جويلية **1824**م وقد وصفت هذه الحملة بأنها رد الشرق على الغرب[3]، فاستطاع "**إبراهيم باشا**" أن ينفرد بقيادة الحملة نحو مورة عن القوات العثمانية، بسبب ضعف الأسطول العثماني من جهة، ومن جهة أخرى الكراهية التي يكنّها والده لقائد القوات العثمانية "**لخسروا باشا**"[4]، محققا انتصارات كبيرة بدخوله تريبولستا عاصمة مورة في **13** جوان **1825**م، والتي كانت في موقع حصين بين الجبال[5]، بالرغم من مقاومة شديدة التي واجهها إلا أنه استطاع قهرها ودخول المدينة.

1- عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص125.

2- **إبراهيم باشا:** قائد عسكري مصري حكم مصر في سنة 1848م، وهو الابن الأكبر لمحمد علي ولد في قولة سنة 1805م في فترته تمت تولية أبيه على مصر، وفي سنة 1807م أشرف على مسح الأراضي الزراعية وتولى حكم الصعيد وقاتل المماليك وعين في العسكرية المصرية، كما يعتبر المؤسس الفعلي للجيش المصري قاد حملة ضد الوهابيين (1814-1819م)، وضد الثوار اليونانيين 1825-1827م، وحارب الأتراك بتوجهه إلى بلاد الشام ووصوله إلى كوتاهية سنة (1831-1833م)، منتصرا على الأتراك في معركة نصيبين 1839م تولى حكم مصر في فريل 1848 م، وتوفي في نوفمبر 1848م.ينظر، عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ب، 1985م، ص ص 17-18.

3- السيد فرج، المرجع السابق، ص85-86.

4- **خسروا باشا:** كان محمد خسروا باشا كتخدا حسن باشا القبودان، صدر فرمان بتعيينه في سنة 1219هـ/1801م، حكم مصر سنة 1802م، كان منفذ الخطط للدولة العثمانية للقضاء على المماليك، هرب من القاهرة بعد معركة مع العساكر الأرناؤوط في 2 ماي 1803م إلى منصورة ثم دمياط إلا أن قبض عليه من قبل حسن باشا. ينظر، خليل بن أحمد الرجبي، المصدر السابق، ص78.

5- محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المصدر السابق، ص ص 129-130.

ج – الحراك الأوروبي:

تغير موقف الدول الأوروبية(بريطانيا–فرنسا–روسيا)، أمام هذه القضية اليونانية في **1825**م التي جعلت البحر المتوسط قضية أمامهم[1]، وهذا ما بيّنته إنجلترا ولم تخش الاعتراف به فقد قال سفيرها المقيم في القسطنطينية " **تشارلز باغوث** " لسفير فرنسا قائلا: « **لقد حصلنا لروسيا كل ما يمكن الحصول عليه...غير أن الشيء الأساسي بالنسبة لأوروبة هو الحيولة دون امتداد العملاق الذي يضايق الجميع، وهو روسيا إلى البحر المتوسط، ونستطيع أن نضمن لكم أنه لن يضع قدميه فيه** »[2]، فنرى أن روسيا كانت تضيق الخناق على الدول الأوروبية بتدخلها المتزايد نحو قضايا البلقانية.

فأثارت القضية اليونانية حفيظة الدول الأوروبية، وذلك عن طريق النشاط الدبلوماسي المتمثل في القناصل والسفراء، الذين لعبوا دورا مهما في تحريك حكوماتهم نحو هذه القضية فنجد مثلا الأميرال الفرنسي "**دورينيي**" بعث لحكومته قائلا: « **إن الأتراك يستطيعون الإبادة ولا يستطيعون التهدئة إذ يجب التدخل** »[3].

أما التدخل الروسي على إثر موت" **القيصر إسكندر**"[4] وتولى"**نقولا الأول**"[5] العرش سنة **1240**هـ/ **1825**م، الذي غير موقف حكومته من مجرد تأييد للثورة اليونانية إلى المواجهة العسكرية ضد القوات العثمانية المصرية باسم مناصرة الثورة اليونانية[6]، نجد هذا التدخل نحو القضية اليونانية كان شكليا، لأن قضية الأقاليم الدانوبية كان هدفها الأساسي، بحيث ضغطت على الدولة العثمانية

1– عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص125.

2– نور الدين حاطوم، **تاريخ الحركات القومية**، ج 1، ط1، دار الفكر، د.ب، 1979 م، ص342.

3– نفسه، ص356.

4– **القيصر اسكندر**: ولد عام 1777م تولى العرش الروسي في عام 1801م تحالف مع نابليون بونبارت واقتسم معه النفوذ في وسط أوروبا وشرقها بعد 1807م، أدخل بعدها إصلاحات. أنظر، الان بالآمر، **موسوعة التاريخ الحديث1789–1954م**، تر، سوسن فيصل السمرائي ويوسف أمين، د.ط، د.د.ن، بغداد، 1992م، ص85.

5– **نقولا الأول**: تولى العرش بعد موت اسكندر في سنة 1825م كانت فترته أشد الفترات شهدتها روسيا، في عهده فقامت ثورة ثورة بولندا التي قضى عليها بشدة وحاول أن تكون روسيا حامية المسيحين في الدولة العثمانية وحاول الاتفاق مع بريطانيا لاقتسام أملاك الدولة العثمانية.ينظر، نفسه، ص190.

6– أ.ج.جرانت، هارولد تمبرلي، **أوروبا في القرنين التاسع عشرة العشرين 1787–1750م**، تر، الهام فهمي وأحمد عزت عبد عبد الكريم، القاهرة، 1967م، ص404.

في هذه الظروف الصعبة بعقد اتفاقية معها في سنة **1826**م[1] فهنا نجد أن القضية اليونانية ما هي إلا غطاء خارجي للقضية البلقانية.

أزعج بريطانيا وفرنسا التدخل الروسي اتجاه هذه القضية، واضطروا لمنعها من الإنفراد بالعمل في الأراضي البلقانية، خاصة الحكومة النمساوية التي كانت متخذ قرار مع بريطانيا بأن القضية مشكلة داخلية فلا تتدخلان[2]، إلا أن بريطانيا لم يهدأ لها بال فحاولت أن تستميل روسيا إلى جانبها وتمنعها من التوسع في البحر المتوسط، متبعة سياسة المحافظة على أملاك الدولة العثمانية.

ثارت الدول الأوروبية عامة وبريطانيا وفرنسا خاصة، من التدخل المصري –نحو القضية اليونان– الذي أصبح يمتلك جيشا قويا يستطيع أن يساعد الدولة العثمانية بعد محنتها الكبرى وهي القضاء على الجيش الانكشاري سنة **1826**م.

فأصبحت مصر تأثر على الأمن الأوروبي مما دفع ببريطانيا إلى المواجهة السلمية للقوات العثمانية المصرية في البلقان، وذلك بعقد بروتوكولات مع روسيا في **4** أفريل**1826**م[3]، الذي نص على وضع حد للقضية اليونانية[4].

إلا أن السلطان "**محمود الثاني**" رفض هذا البرتوكول مما سارعت الدبلوماسية البريطانية للإجراء مباحثات بين السفراء الثلاث في لندن (روسيا وبريطانيا وفرنسا)، التي خرجت من عزلتها التي فرضها عليها مؤتمر فيينا المعقود سنة **1815**م [5]، فأسفرت تلك المباحثات إلى عقد معاهدة لندن في في **6** جويلية **1827**م، فاتفق الدول الثلاث على التدخل بين تركيا واليونان لتقرير مصير المسألة

1- **إتفاقية أكتوبر 1826**: عقدت بين الدولة العثمانية وروسيا وتسمى معاهدة أق كرمان نصت على استقلال الصرب وإعطاء الحق للملاحة الروسية في البحر المتوسط. ينظر، محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص342.

2- جمال محمود حجر، **القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين**، تق، عمر عبد العزيز عمر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1989م، ص15.

3- **اتفاقية 4 أفريل1826م**: عقدت بين بريطانيا وروسيا نصت على تسوية القضية اليونانية خاصة إعطائهم الحكم الذاتي في نطاق السيادة العثمانية وإقرار الدول الأوروبية الكبرى بعدم وجود أية مطامع لها فيها اليونان. ينظر، محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص 80.

4- نفسه، ص81.

5- عبد العزيز نوار، **التاريخ الأوروبي**...، المرجع السابق، ص321.

اليونانية[1]، وبقيت الدول الأخرى أي النمسا وبروسيا خارج نطاق المعاهدة[2]، لأسباب داخلية تخصهم.

أمام هذا الرفض العثماني بجلاء اليونان منعت معاهدة لندن سنة **1827**م، مصر من التواجد العسكري في النظام الأوروبي، فأبى "**محمد علي باشا**" من الانسحاب فأصبحت المواجهة بين القوات المتحالفة والقوات العثمانية المصرية لا نقاش فيها[3]، لأن هده القضية أثرت على التوازن الدولي من جهة، ووضع حد للقوات المصرية قبل أن يستفحل أمرها في البحر المتوسط من جهة أخرى.

اتفقت الدول الأوروبية على إرسال أساطيلهم إلى المياه اليونانية لتأييد مطالبهم بقوة ولمنع السفن العثمانية المصرية من الوصول إلى الشواطئ اليونانية، ففي **20** أكتوبر**1827**م دخلت القوات المتحالفة في خليج نافرين مما أدى إلى الاشتباك مع الأسطولين العثماني المصري، وتحقيق النصر عليهما[4]في معركة **نافرين Navarino**[5] الشهيرة، فانهزام القوات المصرية التي خسرت فيها جميع مراكبها وجيشها الذي تراوح بين ثلاثة آلاف قتيل وهذا دال على غياب "**إبراهيم باشا**" في المعركة وأخذ الضبّاط الأقوياء معه وبقي الجنود العرب يواجه هذه القوات الأوروبية[6]، فهنا نتساءل ما سر ذلك الغياب؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات؟ احتمال من وجود اتصالات بريطانيا مصرية.

فبرغم من خروج مصر من هذه المواجهة الحاسمة منهزمة أمام التحالفات الأوروبية، إلا أنها كسبت لنفسها مركزا دوليا لا تنازع فيه، كما أن "**محمد علي باشا**"لم يعد واليا تابعا للسلطان العثماني وإنما أصبح منافسا وندا له وذلك لأنه تحالفه مع الحلفاء بطلب منهم دون مشاورة الدولة العثمانية[7]، خاصة بعدما طلبت منه عدم الانسحاب والاستمرار في المواجهة فأبى ذلك، فرجعت

1- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص205.

2- نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص361.

3- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص81.

4- محمود شاكر حميد، "رد الفعل البريطاني تجاه محاولات التدخل الروسي في الثورة اليونانية 1821-1889م "، **مجلة آداب البصرة**، ع 45، 2008م، ص261.

5- **نافرين**: أو غاواين مدينة ببلاد اليونان. ينظر، فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 231.

6- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص72.

7- نفسه، ص 72.

القوات المصرية بأمر من "**محمد علي باشا**" إلى مصر خاصة بعدما هددته بريطانيا بضرب الإسكندرية إذا لم ينسحب من مورة[1].

بعد هذه المغامرة التي جرت بين القوات الأوروبية ووالي مصر **محمد علي باشا**، أدرك هذا الأخير أن لا عمل بدون موافقة بريطانيا فعقد معها معاهدة في **6** أوت **1828**م نصت على إجلاء القوات المصرية من بلاد اليونان بالشروط التالية:

- إعادة أسرى اليونان لوطنهم وتحرير من بيع منهم بمصر.
- يتعهد الأميرال الإنجليزي بإعادة الأسرى المصريين وإعادة القطع البحرية المصرية التي أسرت أثناء المعركة.
- إخلاء القوات المصرية لبلاد اليونان على أن يتولى "**محمد علي باشا**" نقلهم على سفه وبمقتضى هذه المعاهدة، بدأ الانسحاب المصري من اليونان إلى غاية أكتوبر **1828**م، كما انسحبت القوات العثمانية[2]، فنرى "**محمد علي باشا**" أصبح يفكر في ولايته ولا يهمه أمر السلطان وهذا بيّنه من خلال انسحابه من اليونان.

نلاحظ أن القوات المصري أثرت في السياسة الدولية، فلولا تدخلها في هذه الحرب لسيطرة القوات روسية على البحر المتوسط، وهذا ما يؤثر على المصالح البريطانية والفرنسية.

2- محمد علي والمشروع الفرنسي للسيطرة على الجزائر:

تعددت مشاريع فرنسا الاستعمارية على الجزائر من جراء اصطدام المصالح الفرنسية من جهة، ومحاولة فرنسا العودة إلى مصاف الدول الكبرى بعد تحطيمها سنة **1815**م من جهة أخرى[3] فانتهت هذه المشاريع بضرب الحصار البحري على الجزائر في **15** جوان **1827**م، متخذة حادثة المروحة ذريعة لذلك.

1- السيد فرج، المرجع السابق، ص ص116-117.

2- عبيد جميل، المرجع السابق، ص ص 155-165.

3- عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص129.

أ – عرض المشروع

أمام هذا الوضع اتجهت حكومة فرنسا بقيادة "**البرنس دي بولينياك Prince de Polignac**"[1] في سنة **1828**م، باستخدام "**محمد علي باشا**" كغطاء لمخططاتها الاستعمارية، بحيث حاول ربط مسألة الجزائريين بمصر وشمال إفريقيا[2]، خاصة بعدما زادت القوات المصرية في الجزيرة العربية والسودان واليونان، فأراد أن يعرض المشروع احتلال الجزائر على "**محمد علي باشا**".

فعلى إثر هذا كان النشاط الدبلوماسي الفرنسي في مصر يعمل على حساب هذه الفكرة، بحيث كان القنصل "**دروفتي**" [3] هو المشجع على ذلك، بحيث عرض على "**محمد علي باشا**" تأديب أوجاق الجزائر في سنة **1827**م[4]، إلا أن الظروف لم تتح له الفرصة لعرضها على الحكومة إلا في سنة **1829**م، فاستطاع "**دروفتي**" أن يحول نظر "**محمد علي باشا**" من الشرق إلى الغرب، موضحا له أن هذا المشروع يخدم المصلحتين مداراة أوروبا، تجنب إثارة حسد الباب العالي إذا قمت بهذه الحملة اتجاه الجزائر ثم تونس وطرابلس، فوافق الولي المصري على ذلك، مما أدى بالقنصل"**دروفتي**" لبعث رسالة إلى **بولينياك** بقوله: «...**يمكن تحطيم أوكار هؤلاء المسلمين المتوحشين البرابرة بضربهم بأبناء جلدتهم...محمد علي والي مصر...، بالتعاون مع فرنسا عن إرسال جيش لاحتلال هذه البلاد...**» [5].

فلقد قبل "**بولينياك**" هذا العرض لأنه يخدم مصالحه نحو الغرب المتوسط فردّ في سنة **1829**م بموافقته لمشروع بعدما عرضه على الملك "**شارل العاشر**" بهدف كسر نفوذ بريطانيا في البحر المتوسط

1- **حكومة يولينياك**: حلت محل حكومة"مارتينياك" في 1828م، مؤلفة من مالكين متطرفين ممن يرضى عنهم شارل العاشر، فكان يولنياك رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها. ينظر، محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال**، ط 2، مكتبة دار الشروق، بيروت، 1979م، ص 184.

2- أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص31.

3- **دروفتي**: قنصل فرنسي مقيم في الإسكندرية اشتغل في الشرق لمدة ربع قرن، ثم تحول إلى صديق مقرب ومستشار مسموع لمحمد على.ينظر، جيورج دوين، **محمد علي والحملة الفرنسية على الجزائر (1829–1830م)**، تر، صادق سلام، د.ط، عالم الأفكار، الجزائر، د.ت، ص54.

4- أرجمنت كوران، **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر، عبد الجليل، د.ط، منشورات الجامعة التونسية، 1957م، ص47.

5- جيورج دوين، المصدر السابق، ص ص 18–20.

أولا، استعادة فرنسا مكانتها في الساحة الأوروبية ثانيا، استخدام جيش إسلامي ضد بلاد إسلامية ثالثا[1]. مقتنعا بأن السلطان سوف يعطي "**لمحمد علي باشا**" الشرعية نحو هذا المشروع ولكنه كان خاطئا بإعلان "**محمود الثاني**" بأنها قضية تهم الباب العالي ولا دخل لفرنسا [2].

ب– إجراء المفاوضات:

بعدما عرض على "**محمد علي باشا**" أن يقوم بالحملة منفردا، كما ذكرت الوثائق العثمانية بأن فرنسا اشترطت عليه الجزائر وطرابلس الغرب، واستثنت تونس من هذا العمل[3].

فاتجه "**محمد علي باشا**" نحو عقد مفاوضات مع فرنسا في سنة **1829**م[4]، بعدما خسر أسطوله وقواته في اليونان بدون تعويض من طرف الدولة العثمانية، فأراد أن يأخذ هذا المشروع من باب التوسع نحو بلاد المغرب، ووضع مصر في معادلة السياسية الأوروبية.

بدأت المفاوضات بين فرنسا ومصر في نهاية سبتمبر**1829**م، بإرسال القنصل الفرنسي "**هودر** Huder" [5] بتفاوض مع الوالي المصري حول مسألة الإيالات الثلاث (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب)، فاشترط "**محمد علي باشا**" أن يكون "**إبراهيم باشا**" قائد القوات وطلب أن تساهم فرنسا بمبلغ مالي في الحملة لإعانة قدرها 21 مليون فرنك، وأربعة بواخر حربية تعطيها له مع 80 مدفعا من أجل أن يقوي أسطوله [6].

في نفس الوقت بعثت فرنسا لقنصلها المقيم في إستانبول "**قيومينو Guillemiont**" أن يحصل على فرمان من طرف السلطان، لكي يستطيع غزو تلك الإيالات بقيادة والي مصر مقترحا عليه أن هذا المشروع في صالحك، بحيث أنه تستطيع أن تعين الولاة بنفسك إذا ساندت هذا المشروع من جهة، وفرصة ثانية لاسترجاع السلطة المطلقة على السواحل الإفريقية من جديد من جهة

1– سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص82–83

2– أرجمنت كوران، المصدر السابق، ص 49.

3– عبد الرحمان نواصر، **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف فتار حساني، جامعة غرداية، 2010–2011 م، (مرقونة) ،ص 145.

4– جيورج دوين، المصدر السابق، ص6.

5– قنصل فرنسي جاء بعد القنصل دروتي وتولي المفاوضات مع بوليتاك اتجاه محمد علي.انظر، نفسه.

6– جيورج دوين، المصدر السابق، ص8.

أخرى[1]، باءت هذه المهمة بالفشل بسبب تدخل بريطانيا وتحريضها ضد محمد علي الذي زاد نفوذه نحو المغرب، أما "**أبو القاسم سعد الله**" يقول بأنها رفضت بسبب الشريعة التي تتنافى مع هذه المسألة.

وأمام هذا الوضع واصلت فرنسا مفاوضاتها مع "**محمد علي باشا**" مؤكدا هذا الأخير أن تكون الحملة المصرية دون فرنسا حتى لا يثير حفيظة مسلمي شمال إفريقيا وتبعية فرنسا بالمقابل 4 سفن كبيرة تقتص مبلغها من القرض الذي ستقرضه له لمدة أربع سنوات، وكان المبلغ 21 مليون فرنك[2].

وافقت الحكومة الفرنسية على المطالب التي طالبها "**محمد علي باشا**" باستثناء تدعيمه بالبواخر الأربع[3]، في نفس الوقت اقترحت عليه في **21** جانفي **1830**م مشروع آخر بأن يقود "**محمد علي باشا**" الحملة على تونس وطرابلس الغرب وتنفرد فرنسا بحملتها على الجزائر [4]، فكان سبب هذا الاقتراح هو المعارضة التي واجهها " **بولينياك** " من طرف مجلس الوزراء الذي اعتبرها إهانة لشرف فرنسا.

لم تسفر هذه المفاوضات برفض "**محمد علي باشا**" المشروع كاملا[5]، كما أن فرنسا وضعت وضعت حدا لهذه المفاوضات بإصدار مذكرة في **21** مارس **1830**م، تبين لسفراء أوروبا أن فرنسا ستعمل على بعث حملة عسكرية إلى الجزائر [6].

ج- فشل المشروع :

رفض "**محمد علي باشا**" المشروع بحجة عدم وصول فرمان من الباب العالي يسهل له القيام بحملة على الجزائر بحيث أن مصر أضعف من فرنسا، فإذا تحالف معها سوف يظهر معارضة من

1- أنظر إلى الملحق رقم 2.

2- جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف المجاهد، الجزائر، 1994م، ص 74.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 31.

4- جيورج دوين، المصدر السابق، ص9.

5- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص31- 32.

6- أرجمنت كوران، المصدر السابق، ص 57.

طرف شعبه، لذلك سعى أن يساوم الباب العالي على المشروع [1] بحجة قوله: « **أنتم مسيحيون أما نحن والجزائريون فمسلمون...ذو دين وأمة وشريعة...لا يتلاءم مع ديننا ودولتنا** » [2].

أما السبب الحقيقي الذي رفض من أجله "**محمد علي باشا**" المشروع هو المواجهة والمعارضة البريطانية له خاصة وأن المشروع يحمي فرنسا التي حاولت أن تسيطر على البحر الأبيض المتوسط [3]. فرغم انشغالها بإصلاحاتها الداخلية، إلا أنها لم تغفل عن مراقبة "**محمد علي باشا**" في سياسته الخارجية فيفضل قنصلها "**باركر**" الذي جاء إلى القاهرة مرة بشكل مفاجئ مدعيا فكرة مشروع المواصلات هو سبب رحلته، إلا أن القنصل الفرنسي المتواجد في القاهرة تحدث معه، وكشف أن هدف هذه الرحلة هو معرفة سير المفاوضات وعرقلتها [4].

فاستطاعت بريطانيا أن تكشف المفاوضات عن طريق كثرة اتصالاتها بين الطرفين، وهنا من يقول بأن "**محمد علي باشا**" أخبرها عن المشروع بنفسه [5].ومهما كان الأمر فإن بريطانيا كانت لتكتشف الأمر عن طريق الصحف التي نشرت في سنة **1830**م أخبار على هذا المشروع بقولها: « **غير ممكن فظيع، مهزلة أي مجد لفرنسا أن تستعمل مسلما ضد مسلم** »[6].

أمام هذا الوضع هددت بريطانيا **محمد علي** بالهجوم على أسطوله وجيشه إذا قام بهذه المسألة[7] قائلة: **« بأنها تدمر أسطوله ساعة خروج هذا الأسطول من مرافئه بالإسكندرية وتعويض ملكه إذا زحف جيشه إلى إفريقيا الشمالية...»** [8]. فكانت مواجهة سلمية حادة من طرف بريطانيا.

فهنا اقتنع "**محمد علي باشا**" بأن لا عمل بدون موافقة بريطانيا بقوله: «**إن الشعب في كافة أنحاء الإمبراطورية العثمانية.قد فقد ثقته في حكومة الباب العالي، وهو متعلق بي ولكن**

1- سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م، ص325.

2- أرجمنت كوران، المصدر السابق، ص55.

3- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص 82.

4- جيورج دوين، المصدر السابق، ص 393.

5- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص84.

6- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص33.

7- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص604.

8- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص84.

عداوة الحكومة البريطانية تعرقل جهدي...بدون صداقتهم لا استطيع أن افعل شيئا » [1]، نرى بأن بريطانيا كانت ستواجه "**محمد علي باشا**" مواجهة عسكرية لولا لم يسحب نفسه من المشروع، فحسب الوثائق العثمانية يبدو أن بريطانيا قد أرسلت بعثات إلى الساحل الجزائري لرصد كل تحركات السفن الفرنسية قبيل بداية الحملة[2].نستنج إذا أن بريطانيا كانت متخوفة من سياسة فرنسا اتجاه والي والي مصر.

كما أن "**محمد علي باشا**" لولا تخوفه من المواجهة البريطانية ضد هذا المشروع ما تأخر في التوسع تجاه المغرب العربي، [3] ولا تخلى عن رتبة قائم مقام لملك فرنسا بآسيا [4] إلا أنه التف حول بريطانيا طارحا عليها أن يكون جنديها وأن يتوجه نحو الشرق خادما لمصالحه بدرجة الأولى.

1- سيار الجميل، المرجع السابق، ص325.

2- عبد الرحمن نواصر، المرجع السابق، ص114.

3- سيار الجميل، المرجع السابق، ص326.

4- جيورج دوين، المصدر السابق، ص 119.

المبحث الثالث

المسألة السورية من 1246-1265هـ/1831-1849م

أولا: الحملة المصرية على بلاد الشام 1246-1248هـ/1831-1833م.

ثانيا: الصراع الأوروبي المصري 1254-1255هـ/ 1838-1839م.

ثالثا: تسوية المسألة السورية 1256- 1265هـ/ 1840- 1849م.

أولا– الحملة المصرية على بلاد الشام 1246–1248هـ/1831–1833م.

1– أسباب الحملة

إن ضم بلاد الشام إلى مصر كانت فكرة قد راودت ذهن "**محمد علي باشا**" من العشرينيات القرن التاسع عشر، فقد كان دائم التدخل في شؤونها الداخلية كلما سمحت له الظروف بذلك فأصبح يخطط للاستيلاء عليها ويعود اهتمامه بهذه المنطقة لعدة عوامل أهمها:

أ– العوامل الإستراتيجية:

رغب "**محمد علي باشا**" في إقامة منطقة عازلة بين ممتلكاته في واد النيل ومراكز الدولة العثمانية في الأناضول [1]، فقد رأى باستيلائه على الشام أنه سيؤمن حدود مصر، التي يراها المستشارون الفرنسيون تمتد إلى جبال طوروس لا صحراء سيناء.

إن عملية السيطرة على سوريا، تعد مسألة دفاع عن الغزو الخارجي وتحقيق الأمن والاستقرار وبذلك تصبح سوريا ومصر وحدة الإستراتيجية قوية [2]، وقد أكّد "**محمد علي باشا**"على هذا الأمر لمبعوثه في اسطنبول عندما كتب له يخبره قائلا: «... **الشام ضرورة ملحة للأمن المصري**... » [3].

ب – العوامل الشخصية:

اتخذ "**محمد علي باشا**" عذرا مباشرا للحملة على بلاد الشام دون أن يعلن عدائه للسلطان، وهو خلافه مع "**عبد الله باشا الجزار**" [4] حاكم عكا، على إثر تشجيع هذا الأخير الفلاحين المصريين الهاربين من تعسف الضريبي للجوء إلى ولايته وكان عددهم لا يقل عن 6 ألاف شخص فطلب "**محمد علي باشا**" إرجاعهم إلا أن "**عبد الله باشا الجزار**" رفض تسليمهم على اعتبار أن

1– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص217–218.

2– لطيفة محمد سالم، **الحكم المصري في الشام (1831م–1841م)**، د ط، القاهرة، 1990م، ص20.

3– محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص ص 94 –95.

4– **عبد الله باشا الجزار**: تولى ولاية صيدا في سنة 1819م، شهدت فترته نزاع مع درويش باشا والى دمشق، فكانت بداية ارتباط مصر بالشام على اثر مساعدة محمد علي لعبد الله باشا الجزار لتخليصه من حرب والي دمشق، إلا أن العلاقة تغيرت فيما بعد بسبب طموحات محمد على التوسعية. ينظر، هدى علي بلال، " الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830–1841م "، **مجلة الأبحاث كلية التربية أساسية**، مج 10، ع3، جامعة الموصل 2011م، ص ص356–357.

القطريين تابعين لسلطان واحد[1] وبذلك ازدادت حدة الخلاف بينهما، ممّا شجع "**محمد علي باشا**" على توجيه حملته إلى بلاد الشام.

ج – العوامل الاقتصادية:

كانت الإمكانيات الاقتصادية لمصر ضعيفة وغير قادرة على تلبية متطلبات تلك التحولات التي رافقت التجربة التحديثية "**لمحمد علي باشا**"، فأصبح يبحث عن المصادر الاقتصادية خارج حدود مصر لتغطية العجز الداخلي[2].

فتطلع إلى موارد بلاد الشام واستغلالها، وذلك لخدمة أغراضه الاقتصادية المتنوعة على اعتبار المنطقة غنية بالمعادن فكان ضروريا له أن يحصل سنويا على الفحم الحجري من جبال لبنان[3]، بإضافة إلى الموارد الأخرى كالأخشاب والنحاس والحديد كما لا ننسى غناها بالحرير ومنسوجاته [4].

د – العوامل العسكرية:

تجلت رغبة "**محمد علي باشا**" في احتلال بلاد الشام، وذلك من أجل تحقيق طموحاته في ضم العديد من رجال الشام ذو تكوين يلائم الطبيعة الحربية، حيث يقول: «...**من جبال لبنان أجنّد جنودي، فأدرب منهم جيشا كبيرا ولا أقف به إلا على ضفاف الدجلة والفرات...**» [5]، إضافة إلى تلك العوامل نجد القيم الدينية والثقافة للشام إذ أنها تضم القدس ودمشق، هي إحدى المراكز القيادة للثقافة الإسلامية، فامتلاك "**محمد علي باشا**" لقاهرة يجعل له الحافز لاحتضان دمشق الأموية، كما لا ننسى الظروف الإقليمية والدولية التي شجعته للقيام بمشروعه التوسعي ناحية بلاد الشام، فمن الناحية الإقليمية تجلت في ضعف الدولة العثمانية، أما من الناحية الدولية فتجلت في اندلاع الثورة البلجيكية والبرتغالية [6].

1- محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج3، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ص ص51-52.

2- الغالي غربي، المرجع السابق، ص185.

3- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص ص20-21.

4- أحمد طربين، المرجع السابق، ص93.

5- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص ص21-22.

6- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص ص102-103.

مع توفر هذه الأسباب لم يبق أمام **"محمد علي باشا"** سوى إرسال حملته نحو الشام بقيادة ابنه **"إبراهيم باشا"** فبدأت عملية غزو ابتداء من عام **1831**م[1]، فانتقلت قوة تتألف من إحدى عشر ألف رجل من صحراء سيناء في طريقها إلى غزة وانتقل الأسطول المصري من ميناء الإسكندرية لملاقاة الجيش البري [2]، وبذلك احتلت غزة ويافا وحيفا واقترب من عكا في أواخر نوفمبر بعد حصار دام ستة أشهر فسقطت عكا في **27** ذي الحجة **1247**هـ الموافق**27** ماي **1832**م [3].

واصل الجيش المصري توسعه بقيادة **"إبراهيم باشا"** نحو الشام التي أصبحت تسقط دون أدنى مقاومة فدخل دمشق وتابع زحفه باتجاه حمص حيث وقعت أول معركة مع الأتراك في 8 جويلية 1832م، وحقق فيها انتصارا كما دخل حلب وانتصر في بيلان، وبهذا أضحت سوريا بأكملها في يد هذا القائد[4].

وفي **21** ديسمبر**1832**م دخل **"إبراهيم باشا"** الأراضي العثمانية إلى غاية وصوله إلى منطقة قونية[5] التي وقعت فيها معركة حاسمة بين الجيشان المصري والعثماني وانتهت بانتصار القوات المصرية[6]، بالرغم من محاولة القوات العثمانية الوقوف في وجه هذا التوسع إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك، حيث استطاع إبراهيم باشا في شهر فيفري **1833**م أن يحتل كوتاهية[7]، وبالتالي أصبح الطريق أمامه سهلا للوصول إلى أستانة دون خوف أو تردد من السلطان العثماني.

1- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص176.

2- الغالي غربي، المرجع السابق، ص186.

3- مجهول، **مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا**، تح، تق، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، د س، ص15.

4- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص 177.

5- أنظر إلى الملحق3.

6- عايض بن حزام الروقي، **حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247-1255هـ/1831-1839**م، د.ط، جامعة أم القرى، مكة مكرمة، 1986م، ص ص82-83.

7- مجهول، المصدر السابق، ص ص 57-58.

2- مواقف الدول الأوروبية من التدخل المصري:

أ- المواقف الأولية:

اتضحت مواقف الدول الأوروبية على إثر التدخل المصري لبلاد الشام ففي بداية لم تظهر أي موقف فعلي أو حتى مواجه حربية ضد التواجد المصري، وذلك لانشغالها بالأحداث القارة الأوروبية، ونذكر على وجه الخصوص بريطانيا وفرنسا على إثر الثورة البرتغالية والبلجيكية[1]، ولكن كل هذه الدول كانت ملتزمة بمبدأ موحد ألا وهو الإبقاء على الدولة العثمانية ككيان سياسي في مواجهة مصر[2].

أثارت توسعات "**محمد علي باشا**" في بلاد الشام سُخط لدى السلطان العثماني هذا ما جعله يلجأ إلى طلب المساعدة من الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا [3]، التي لم تبد أي رأي اتجاه اتجاه هذه الحملة باعتبارها تمردا عاديا من جهة[4]، ومن جهة أخرى لانشغال حكومتها بتمرير قانون قانون الإصلاح البرلماني فضلا عن الأحداث البرتغال وبلجيكا لذلك ترددت حكومة "**غراي**" في مساعدة العثمانيين وقد نصحت وزير خارجيتها "**بالمرستون Lord Plamerston**"[5]، بعدم التدخل[6] وبذلك تخلت بريطانيا مؤقتا عن سياستها التقليدية لحماية أملاك الدولة العثمانية.

وبالتالي لم يكن من مصلحة بريطانيا في مراحل الأولى من الصراع العثماني المصري اتخاذ موقفا محددا ولهذا لم تستجب لتقديم المساعدة للسلطان من أجل عقد تحالف ذو طابع دفاعي، على أن

1- **الثورة البلجيكية**: نشبت في أوت 1830م، كانت نتيجة مباشرة لثورة يوليو بفرنسا، بدأت إرهاصاتها منذ زمن طويل لقد كان بلجيكيون يعقبون الهولند بين فكانت المسألة البلجيكية في جوهر ها حركة استلال قومي وقد حسمت بتدخل الفرنسي البريطاني، وتم طرد الهولندين نهائيا بلجيكا 1832-1832م.ينظر، أ.ج.جرانت، هارولد تمبرلي، المرجع السابق، ص ص309-312.

2- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص105.

3- مجهول، المصدر السابق، ص15-16.

4- أنينل ألكسندرو فنادولينا، **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية**، تر، أنور محمد إبراهيم، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م، ص30.

5- **بالمرستون Lord Plamerston**: سياسي بريطاني شهير ولد سنة 1784م وبعد أن أتم دراسته في مدرسة كمبردج العليا انتخب في مجلس العموم سنة 1806م، وانضم إلى حزب المحافظين، وفي سنة 1827م تحول عنهم وانخرط في سلك الأحرار، وصار وزير للخارجية سنة 1830م-1841م، ومن سنة 1846م إلى سنة 1851م، ومن سنة 1855م إلى سنة1858م، وأخير من سنة 1859م إلى تاريخ وفاته سنة 1863م. ينظر، عايض بن حزام الروقي، المرجع السابق، ص58.

6 -Chris Williams , A Companion To Nineteenth-Century Britain, S.E, The Historical Association, S.D, P.38.

تتحمل الدولة العثمانية تكاليفها عسكرية وتنازلاتها التجارية لصالح بريطانيا وبذلك تركت القوى تتصارع إلى حين ترى الفرصة مناسبة للتدخل [1].

إلا أن بريطانيا بقية تراقب عن بعد تطورات المسألة المصرية العثمانية، فساستها كانوا أقرب إلى التردد في اختيار الموقف الذي يخدم سياسة بلدهم لذلك لم يعطوا للمسألة في بدايتها الأهمية اللازمة [2]، كما أنهم لم يبيّنوا موقفهم بعد من التأييد إما "**لمحمد علي باشا**" أو للسلطان العثماني، إلا أن رفضهم لمساعدة السلطان يجعل موقفهم أقرب إلى مصلحة "**محمد علي باشا**" عن سلطانه.

أما موقف فرنسا من حملة "**إبراهيم باشا**" على بلاد الشام فلم تبد أية معارضة، فقد رأت في ذلك تفجيرا للأزمة جديدة، تبعد أنظار الجميع عن واقع احتلالها للجزائر سنة **1830**م، واستمر ارتياحها حتى سقوط عكا، غير أن تقدمه باتجاه شمال وانتصاراته المتلاحقة بدأت تثير مخاوفها[3] فعملت دبلوماسيتها على احتواء الأزمة السورية من خلال سياستها المحافظة على أملاك الدولة العثمانية من جهة ومساندة الوالي المصري من جهة الأخرى، وما شجعها على ذلك أن "**محمد علي باشا**" لم يكن مبتغاه وراثة الدولة العثمانية وإنما الاحتفاظ بالشام فقط[4].

أما موقف النمسا فقد عارضت التوسع المصري في بلاد الشام وأكّدت على تأييدها للدولة العثمانية حتى وأن لم تمسح لها الظروف بالتدخل المنفرد خارج حدود النظام الأوروبي، إلا أنها حاولت حل النزاع وهو ما أكّده مستشارها "**مترنيخ**"[5] للمبعوث العثماني"**نامق باشا**"، فقد أوضح له عدم اقتناعه بحكم "**محمد علي باشا**" ولكن هذا لا يمنع من منحه الشام وإنهاء الخلاف إذا فرضت الظروف ذلك [6].

1- حسن الضيفة، المرجع السابق، ص ص168-169.

2- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص354.

3- حسن الضيفة، المرجع السابق، ص ص167-168.

4- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص106.

5- **مترنيخ**: سياسيا ورجل دولة نمساوي ولد في عام 1773م، دخل في خدمة البلاط النمساوي سنة 1797م، ثم شغل منصب منصب وزير الخارجية سنة 1809م، ثم مستشار من سنة1821 م إلى غاية 1848م أشتهر بسياسة المحافظة، ومعارضته للأفكار القومية والليبرالية، توفي عام 1859م، ينظر، محمود شاكر حميد، المرجع السابق، 267.

6- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص108.

أما روسيا فقد نظرت إلى التقدم المصري ناحية بلاد الشام نظرة خوف وقلق، إذ خشيت أن يستولي "**محمد علي باشا**" على عرش السلطة ويمدّ نفوذه إلى ضفاف البوسفور والدردنيل والبحر الأسود، [1] وبالتالي يؤسس دولة قوية مهددة لمصالحها هناك، لذا سعت منذ بداية الحملة المصرية على بلاد الشام بتقديم يد المساعدة للدولة العثمانية فقد كانت القوة الأوروبية الوحيدة التي ساندت السلطان في حربه ضد مصر، حيث عرضت عليه إرسال سفنها الحربية متى احتاجت ذلك[2]، وكان مبررها هو معاهدة **أدريانول** Adrianople التي عقدتها معه في سنة **1829**م والتي أعطت لروسيا حق المحافظة على الدولة العثمانية ومع أي تدخل خارجي في شؤونها [3]، ولكن السلطان تردد في قبول مساعدتها نظر لعدة عوامل.

ومع اشتداد التوسع المصري في بلاد الشام لم يكن أمام السلطان العثماني سوى إقرار التعاون مع روسيا وطلب مساعدتها في ظل غياب الدعم الأوروبي له [4]، وبعد الانتصار المصري في كوتاهية سنة 1833م، أرسل الباب العالي مذكرة إلى روسيا يطلب فيها إرسال قوات برية من **ملدافيا** عبر اسطنبول، وبناء على هذا الطلب أصدرت روسيا أوامر بنقل أربعة عشر ألف جندي روسي وتركيزهم في مضيق البوسفور، وفي 13 جانفي أرسل القيصر الروسي الجنرال "**مورافيوف**" [5]، إلى الإسكندرية حاملا رسالة تهديد شفوي "**لمحمد علي باشا**" مفادها الانسحاب من بلاد الشام [6].

إن السياسة التي اتبعتها روسيا اتجاه الدولة العثمانية، كانت غريبة من نوعها باعتبارها العدو اللدود لها، وهذا ما يكشف لنا كيفية مسارعة "**نيقولا الأول**" بتقديم المساعدة للسلطان من أجل حفاظه على مصالح دولته التي أصبحت مهددة من طرف "**محمد علي باشا**" عامة وفرنسا خاصة.

1- عبد الرحمن الرافعي، المصدرالسابق، ص253.

2- Marriott j.a.r, **The Eastern Question an Historical Stady in European Diplomasy**,E.D, Oxford, 1963, p70.

3- سليمان بن محمد الغنام، المرجع السابق، ص80.

4- محمد عبد الستار البدري، المرجع السابق، ص108.

5- **مورافيوف**: يدعى نيقولاي نيقولا بتفش (1794م-1866م)، هي شخصية دبلوماسية عسكرية، اشترك في حرب الروسية العثمانية 1826م-1828 وفي حرب الروسي التركية 1828-1829م وفي سنة 1833م كان على رأس الدعم الروسي لمساعدة السلطان ضد محمد علي، ينظر، بازيلي، **سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية**، تر، يسر جابر، مر منذر جابر، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1988م، ص162.

6- غالب عبد أحمد العربيات، خالد حامد طاهر شنيكات، " الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام (1831-1841م) قراءة جديدة في التدخل الدولي "، **مجلة الدراسات التاريخية جامعة البلقاء التطبيقية**، ع117-118، الأردن، 2012م، ص391.

ب– تغيير المواقف البريطانية والفرنسية اتجاه التدخل الروسي:

أمام هذا الوضع تغيرت مواقف الدول الأوروبية اتجاه المسألة السورية وهذا ابتداء من سنة **1833**م، على إثر التدخل الروسي الذي قلّب موازيين القوى الأوروبية، فقررت كل من فرنسا وبريطانيا كبح طموح "**محمد علي باشا**" الجامحة والوقوف في وجه الأطماع الروسية خشية من أن تستغل روسيا ضعف الدولة العثمانية لتقوي مركزها في الممرات، لذلك زعمت إلى حل الأزمة المصرية العثمانية وذلك بفتح المفاوضات بين الطرفين [1].

كما سارعت بريطانيا إلى بلورة سياستها الخاصة اتجاه المسألة السورية فأرسلت بعثة إلى الإسكندرية لإبلاغ "**محمد علي باشا**" برفضها لسياسته الداعية للتغيير والاستقلال[2]، وبذلك سعت لكسر الإستراتيجية المصرية مع إبقاء على قوة واليها تحت غطاء الدولة العثمانية، كما بذلت فرنسا جهدا كبيرا لحسم الخلاف المصري العثماني فقد استخدمت علاقتها الودية مع "**محمد علي باشا**" لإقناعه بتسوية الخلاف بينه وبين السلطان [3].

اضطر السلطان نتيجة الضغوط الفرنسية والبريطانية إلى تسوية الخلاف مع "**محمد علي باشا**"، حيث أرسل إلى كوتاهية مندوبا عنه يدعى "**رشيد بك**" بصحبة "**البارون دي فارين**" سكريتير السفارة الفرنسية ليقوم بالوساطة بين الطرفين المصري والعثماني، وبعد مفاوضات دامت أربعة أيام تم الاتفاق على الصلح المعروف باتفاقية كوتاهية في **8** أفريل **1833**م[4]، وبمقتضاه يتخلى السلطان "**لمحمد علي باشا**" عن إقليم أدرنه مع تثبيته على مصر وكريت والحجاز [5]، أما بلاد الشام فتبقى تحت حكم "**إبراهيم باشا**" لمدة أربع سنوات بشرط بقاء الوالي المصري تابعا السلطان مع جلاءه عن الأناضول [6].

1– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص35–36.

2– حسن الضيفة، المرجع السابق، ص169.

3– هدى علي بلال، المرجع السابق، ص347.

4– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص255.

5– جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص33.

6– مجهول، المصدر السابق، ص16.

كما عزز السلطان مرة أخرى إصدار فرمان في **6** ماي **1833**م الذي نص فيه على كل الأملاك المخولة "**لمحمد علي باشا**" الممتد من حدود مصر الشمالية حتى مضيف كولك بجبال طوروس [1] وبالتالي تراجعت هيبت الدولة العثمانية عامة والسلطان "**محمود الثاني**" خاصة.

بالرغم من عقد الصلح بين الطرفين إلا أن الأزمة السورية لم تنتهي، حيث أن أسبابها مازالت عالقة والأطراف المعنية لم ترض على المكاسب الإستراتيجية التي حققها "**محمد علي باشا**" على حساب الدولة العثمانية إلا أن كل الأطراف أرغمت على التظاهر بقبولها، وبالتالي قد دخلت المنطقة أجواء الحرب الباردة [2].

أمام هذا الوضع أتيحت الفرصة "**لنقولا الأول**" حيث أرسل مبعوثه "**أورلوف**" في محاولة منه لإقناع السلطان بضرورة تمتين العلاقات الروسية العثمانية بحجة أنها هي الوحيدة التي قدمت له المساعدة العسكرية لردّ القوات المصرية، وأسفرت تلك المفاوضات بين الطرفين العثماني والروسي بعقد معاهدة **هنكار اسكله سي** [3] في **8** جوان **1833**م فكانت معاهدة دفاعية هجومية، فتضمنت هذه المعاهدة المواد الست الأولى منها تأكد العلاقات بين الطرفين مع تقرير المساعدة المماثلة ولكن الخطورة الحقيقية لهذه المعاهدة تكمن في المادة السرية وهي أن يغلق الدردنيل أمام سفن الدول الأوروبية الأخرى، إذا طلبت روسيا ذلك [4].

إلا أن الوضع تغير بعد توقيع هذه المعاهدة بثلاثة أيام، حيث غادرت القوات الروسية المضايق عائدة إلى بلادها وبدأت دبلوماسيتها تسعى لتعزيز موقعها داخل الدولة العثمانية مع تطبيق الاتفاقية إلا أن ذلك أزعج كل من بريطانيا وفرنسا التي سعت جاهدة لإبطالها [5].

فنلاحظ أن التدخل الأوروبي لحل الأزمة المصرية العثمانية كان من البداية بهدف إبعاد النفوذ الروسي مع كسر قوة "**محمد علي باشا**" التي أصبحت تهدد مصالحها كما نرى بأن الأزمة السورية كانت عامل مهم في حدوث ذلك التقارب الروسي العثماني.

1- محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المصدر السابق، ص188.

2- الغالي غربي، المرجع السابق، ص181.

3- غالب العريبات، خالد شنيكات، المرجع السابق، ص ص393-394.

4- جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص34.

5- غالب العريبات، خالد شينيكات، المرجع السابق، ص395.

ثانيا– الصراع الأوروبي المصري 1253–1254هـ/ 1838–1839م :

1– السياسة الاقتصادية المصرية:

إن القوة الاقتصادية التي شهدتها مصر في عصر "**محمد علي باشا**"، لم تر النور أمام القوات البريطانية التي عملت جاهدة على إضعافها بإغراق القواعد الاقتصادية مستغلة ضعف الدولة العثمانية وسلطتها الظاهرية على مصر في ثلاثينات القرن التاسع عشر [1].

فكانت السياسة الاحتكارية التي طبقها "**محمد علي باشا**" في مصر وسورية وبعض الولايات الأخرى، أثرت في تراجع الحركة الاقتصادية البريطانية نحو الشرق الأوسط، فتمثلت هذه السياسة في عدة مجالات أهمها:

أ– المجال الزراعية:

عمل "**محمد علي باشا**" على تطوير القطاع الزراعي خاصة القطن الطويل النيلة [2]، الذي أصبح أساس الزراعة المصرية واقتصادها ككل، وذلك عن طريق استعانته بالخبراء المهندسين الفرنسيين مثل "**فرنسيس جومل**" إضافة إلى عوامل أخرى ساعدته على تطوير هذا المجال [3].

كما اتبع "**محمد علي باشا**" نظام الاحتكار في هذا المجال، ففي سنوات **1820–1834**م على سبيل المثال اشترى القطن من الفلاح بسعر 5 ريال للقنطار[4]، بينما كان يباع للتصدير بسعر 25 ريال للقنطار، وكانت الحكومة هي التي تتحكم في تحديد سعر المحاصيل الزراعية سواء في شرائها أو بيعها أو تصديرها إلى الخارج مباشرة، أو عن طريق وكلائها الأجانب الموجودين داخل مصر الذين كان لهم دورا في تحديد سعر بيعها في الأسواق الأوروبية [5].

---

1 - Sainte-Marie Alain, "La Tentative D'industrialisations de L'Egypte sous Mohammed Ali**, Les** raisons D'un Echec " , **Cahiers De La Méditerranée**, v8 , 1994, p79.

2– الغالي غربي، المرجع السابق، ص181.

3– ز.ي. هرشلاغ، **مدخل إلى تاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط**، تر، مصطفى الحسيني، د ط، دار الحقيقة، بيروت، 1973م،ص 112.

4– نفسه، ص115.

5– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص535.

فأضحى القطن المصري من أهم المحاصيل الزراعية في اقتصاد السوق، خاصة بعدما ارتفعت كميات القطن المصدرة من **944** قنطار عام**1821** م إلى 312 قنطار عام**1837**م أي أنها تضاعفت 335 مرة خلال 16 عاما باحتكارها [1]، كما تملكت الحكومة لمعظم الأراضي الزراعية بعدما ألغت نظام الالتزام والأوقاف، فأصبحت محتكرة لحاصلاتها جميعا، فلم يكن للفلاح ملكية لا على الأرض ولا على ما تنتجه.

بالرغم من أن "**محمد علي باشا**" قد استفاد من مداخيل هذا النظام الاحتكاري، إلا أنه شل حركة التقدم الاقتصادي وهذا ما بيّنه المسيو "**دوربيه**" الفرنسي قائلا: « **إن هذا الاحتكار هو الجانب السيء في تاريخ محمد علي** »[2]، وبالتالي أضّر هذا النظام بالحياة الاقتصادية والاجتماعية[3] وبالأجانب المقيمين داخل مصر الذين احتجوا على فرض الضرائب المرتفعة على تجارة الاستيراد خاصة احتكار تجارة القطن [4].

ب– المجال الصناعي:

تعدى نظام الاحتكار من المجال الزراعي إلى المجال الصناعي، فبعد أن أصبح "**محمد علي باشا**" المالك الوحيد لأراضي مصر، صار الصانع الوحيد لصنائعها.

فأعلن نظام الاحتكاري الحكومي[5] في ميدان الصناعة سنة **1816**م تزامنا مع الإصلاحات الزراعية، فارتفع الإنتاج الصناعي بفضل هذا النظام إلى قمته في منتصف الثلاثينات القرن التاسع عشر مثل غزل القطن وارتفع إلى **5000** طن[6]، كما تجاوز هذا النظام إلى الولايات السورية باحتكار

1– أحمد طربين، المرجع السابق، ص 535.

2– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص536.

3– أضر بالحياة الاجتماعية من خلال ارتفاع محاصيل الزراعة، فيقول المسيو **مريو** «لاحاجة بنا إلى الإطالة في عيوب نظام الاحتكار كما وضعه محمد علي، لقد ربح الباشا منه أرباحا طائلة، لكنه أفضى إلى فقر الفلاحين للمدقع وكاد يهوى بهم إلى المجاعة لولا ما اعتادوه من القناعة والعيش». ينظر، نفسه، ص536.

4– الغالي غربي، المرجع السابق، ص182.

5– أي أن الحكومة هي التي تتحكم في سعر المواد الخام الزراعية.

6–ز، ي، هرشلاغ، المرجع السابق، ص ص115–116.

باحتكار الحرير وغيرها من الصناعات، وكان ذلك عن طريق إصدار "**محمد علي باشا**" مرسوم في **1835**م إلى ابنه "**إبراهيم باشا**" بتطبيقه هذا النظام على بعض الصناعات[1].

فعلى إثر تطبيق هذا النظام برزت المصانع المصرية أكبر مصانع الشرق الأوسط منافسة للدول الأوروبية، مما دفع بالقناصل إلى الاحتجاج على الاحتكار الحرير وعلى فرض الضرائب المرتفعة على التجارة الاستيراد لحماية الصناعة المحلية[2].

2- الحصار البريطاني لمصر:

أصبحت السياسة الاقتصادية المصرية لها تأثير في الاقتصاد الدول الأوروبية خاصة بريطانيا التي نظرت إلى هذه السياسة من منظور القلق والانزعاج، فسعت إلى شل هذه السياسة متخذة عدة أسباب منها:

- تطويق الاقتصاد المصري والقيود والاحتكارات التجارية التي طبقها "**محمد علي باشا**" في سورية ومصر[3].
- ثورة الصناعية التي شهدتها بريطانيا في نهاية القرن **18**م، جعلها تلفت إنتابها إلى الشرق الأوسط بحثا عن الأسواق لتلبية حاجياتها[4].
- ضرب معاهدة **هنكار إسلكه سي** منعقدة سنة **1833**م التي عملت على اختلال موازين القوى بينها وبين روسيا في الدولة العثمانية مما دفع ببريطانيا إلى كسر شوكة "**محمد علي باشا**"[5]، الذي كان سببا في ذلك التحالف الروسي العثماني وداعية إلى حفظ أملاك الدولة العثمانية والتوازن الدولي في أوروبا.
- وضع حد "**لمحمد علي باشا**" الذي كان بمثابة العقبة في وجهها نحو حفظ أملاكها في الشرق الأوسط، خاصة بعدما رفض هذا الوالي طلب وزير خارجيتها "**بالمرستون**" في **1834**م المتمثل في

1- صلاح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص ص338-339.

2- أحمد طربين، المرجع السابق، ص65.

3- جورج خوري، " المصالح الاستعمارية البريطانية والحفاظ على الإمبراطورية العثمانية "، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع41-42، جامعة دمشق، 1992م، ص96.

4- جاد طه، المرجع السابق، ص128.

5- جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص43.

إنشاء طريق من أنطاكيا للفرات مار بجلب كخدمة تجارتها وتأسيس مستودع لبضائعها لكن تدخل الدولة العثمانية في إصدار **1835**م فرمان القاضي باحترام الملاحة في الفرات عمل على تأخير المواجهة بين الطرفين[1].

لذا انزعجت بريطانيا من إعلان "**محمد علي باشا**" استقلاله عن الدولة العثمانية في 25 ماي 1838م قائلا: « **لا يمكنني أن أترك ما شيدته من المنافع والمرافق الحيوية بمصر طوال هذه السنين مما كلفني أمرا طائلة كالأسطول ودور الصنعة... والمناجم التي فتحها في سوريا... لا يمكنني ترك كل هذا للفناء على يد الباب العالي بعد موتي** »[2] فإصرار "**محمد علي باشا**" على تثبيت أملاكه في مصر وسورية جعل بريطانيا تتخوف من أن ينشأ دولة عربية، في مقابل ذلك تسيطر روسيا على الدولة العثمانية وتخرج هي بدون غنيمة تذكر.

أ- مراحل الحصار:

اتبعت بريطانيا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر مرحلتين للقضاء على نظام الاحتكار الذي طبقه "**محمد علي باشا**" كالآتي :

المرحلة الأولى:

تحريض وزير خارجية بريطانيا "**بالمرستون**" للسلطان العثماني "**محمود الثاني**" أن يرسل تعليمات إلى "**محمد علي باشا**" من أجل إلغاء فرمان الصادر في **1834**م، الذي ينص على عدم تصدير المواد الخام من بلاد الشام، فوقف السلطان إلى بريطانيا في سنة 1835م بإبعاد الصعوبات التي تعترض تجارتها في كل من مصر وسورية[3].

1- محمد كرد علي، المصدر السابق، ص63.

2- إياد تركان إبراهيم الدليمي، **اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسية الخارجية البريطانية (1830-1865م)**، مذكرة لنيل درجة دكتوراه، اشراف، لطفي جعفر فرج، الجامعة المستنصرية، 2012م، (مرقونة) ص106.

3- ز، ي شلاغ، المرجع السابق، ص119.

المرحلة الثانية:

سعى "**بالمرستون**" للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ضد "**محمد علي باشا**" ففي 6 فيفري 1838م، بعث إلى سفيره في اسطنبول "**بوسنوبني**" أن يعرض على السلطان إبرام اتفاقية تجارية تنص بموجبها لجميع الرعايا البريطانيين بالمتاجرة مع أي ولاية عثمانية، كما بيّن "**بالمرستون**" للسلطان أن الاتفاقية غرضها إلغاء الاحتكارات التي طبقها "**محمد علي باشا**" على معظم السلع في مصر وسورية فوافق السلطان على ذلك [1].

فاستطاعت بريطانيا من تحقيق مبتغاها بعقد معاهدة **بلطة ليمان**[2] مع الدولة العثمانية في 16 أوت 1838م نصت على:

- إبقاء الرسوم على الواردات بنسبة 3% كما نصت على إلغاء الرسوم الداخلية على المواد المستوردة، وعوضت برسم أخرى قيمته 9% يدفع على تصدير هذه المواد[3].
- أن يحصل رعايا بريطانيا العظمى على أية حقوق يحصل عليها رعايا دولة أخرى في الدولة العثمانية.
- لرعايا بريطانيا الحق في أن يتعاملوا بالبيع والشراء في مختلف أجزاء الدولة العثمانية.
- وعد الباب العالي بإلغاء الاحتكارات الزراعية أو احتكار نقل إنتاج معين، والاحتكارات بصفة عامة وأي، وأي وزير يعمل خلاف هذا يتولى الباب العالي إنزال العقاب اللازم ضده وتعويض الرعايا البريطانيين عمّا يصيبهم من خسائر من جراء ذلك.
- أكد الباب العالي بأن هذه المعاهدة سارية المفعول في جميع أجزاء الدولة العثمانية سواء تركيا الأوروبية أو ولايات الدولة في آسيا أو في مصر أو أية ولاية عثمانية في إفريقية [4].

إضافة إلى شروط أخرى نصت عليها المعاهدة، إلا أن الهدف من هذه الأخيرة هو تقويض قوة "**محمد علي باشا**"، وهذا ما بيّنه أحد المؤرخين بقوله: « **إن السفير البريطاني قد بين للباب**

1- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص106.

2- **بلطة ليمان**: منطقة تقع في البحر الأسود من الجهة الغربية.

3 -Alain,op,cit,p79,80

4- عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص140.

العالي أن إلغاء الاحتكار التجاري في الدولة العثمانية، سيترتب عليه تقويض الدعائم المالية لباشا مصر »[1].

ب–انعكاسات الحصار:

لقد ترتب عنه عدة نتائج فمن بينها:

– تراجع قوات "**محمد علي باشا**" السياسية والاقتصادية، وهذا ما بيّنه أحد الكتاب بقوله: « **إن عصفورين أصيبا بحجر واحد، فموارد محمد علي وقدرته على مقاومة السلطان تناقصت إلى حد كبير، كما أزيلت العقبة الرئيسية وجه التجارة البريطانية في الشرق الأدنى** » [2].

– تقوية بريطانيا علاقاتها مع الدولة العثمانية أكثر من ذي قبل من أجل كسر النفوذ الروسي في المضايق.

– تأزم العلاقات بين بريطانيا وفرنسا بحيث رفضت هذه الأخيرة، معاهدة بلطة ليمان بسبب تغيبها في عقدها من جهة، وخوفها عن مصالحها في الولايات العثمانية من جهة أخرى [3].

– فتحت هذه المعاهدة الطريق لبريطانيا باحتلالها لليمن في 1839م، قصد امتلاكها لمفتاح البحر الأحمر من الجنوب وإنشاء قاعدة حصينة في الهند [4]كما سارعت بعقد تحالف بينها وبين الدولة العثمانية ضد "**محمد علي باشا**" في أفريل 1839م، في نفس الوقت عقدت معاهدة مع النمسا لضمان الملاحة المارة في نهر الدانوب وتأمين تجارتها في البحر الأسود [5].

1– عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص141.

2– جورج خوري، المرجع السابق، ص96.

3– إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص140.

4– عبد الحكيم العفيفي، **موسوعة 1000 حدث إسلامي**، ط1، بيروت، 1996م، ص350.

5– عبد الرؤوف سنو، " العلاقات الروسية العثمانية 1687–1878م مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية "، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، ح 2، ع 79–80، بيروت، 1985م، ص19.

أما فيما يخص "**محمد علي باشا**" فقد عارض هذه المعاهدة، ولكن ضغط بريطانيا عليه سياسيا وعسكريا[1]، جعلته يعمل على إلغاء نظام الاحتكار عبر مراحل بداية من سنة 1838م إلى غاية 1842م حيث ألغيت جميع الاحتكارات المفروضة[2].

3 – حرب الشام الثانية وموافق الدول:

1– حرب الشام الثانية 1255هـ / 1839م:

أ – أسباب الحرب:

إن السياسية التي اتبعها "**محمد علي باشا**" في بلاد الشام من تجنيد إجباري واحتكار لبعض السلع التجاري وغيرها كانت من أهم الدوافع لإشعال نيران الثورات في أماكن مختلفة من بلاد الشام[3].

كما نجد في إطار المواجهة بين "**محمد علي باشا**" وبريطانيا، قيام هذه الأخيرة بتحريك المعارضة في بلاد الشام بحيث شجعت الثوار الداخلية من خلال تحريض الدروز[4] ضد "**إبراهيم باشا**" كما بعثت جواسيس مثل "**ريتشارد وود**" الذي كان يتقن اللغة العربية، فاستطاع استمالة أمراء ومشايخ لبنان الناقمين على الحكم المصري وقام بتحريضهم وإثارة البلبلة في صفوفهم، أما خارجيا فقامت بريطانيا بإرسال أوامر إلى أميرالها "**نابيبه napier**" أن يدمر الأسطول المصري من أجل تجريد "**محمد علي باشا**" من قواته، وبالتالي يصبح عاجزا عن إمداد قواتها الموجودة في بلاد الشام بطريق البحر [5].

1– بيدوا أن الوضع الاقتصادي في مصر بدأ يتدهور بعد معاهدة بلطة ليمان بسبب نقص اليد العاملة ونقص القدرة الشرائية إضافة إلى عرقلة بريطانيا مجهودات محمد علي منع الخبرات من بلدها الذهاب إلى مصر الذا تجد مصر سرى الخبراي الفرنسيين إضافة إلى الخبراء من مالطة وتونس. ينظر، Marie, op-cit ; p81.

2– ز، ي هرشلاغ، المرجع السابق، ص119.

3– عبد العزيز نوار، **تاريخ العرب**...، المرجع السابق، ص142.

4– **الدروز**: جماعة من أهالي لبنان وسوريا، يقيمون في جبل الدروز في سوريا، وينتشرون في بقاع كثيرة من لبنان. ينظر، علي مولا، **الموسوعة العربية الميسرة**، مج3، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2010م، ص1502.

5– محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المصدر السابق، ص 204.

أما الدولة العثمانية التي لم يهد لها بال منذ دخول "**محمد علي باشا**" إلى بلاد الشام، حيث عملت على تحريض أهلها واستمالة أعيان ورؤساء العشائر إلى جانبها ضد الحكم المصري، وفي نفس الوقت كانت بلاد الشام تترقب حدوث هزيمة تحل بالباشا لكشف عصا الطاعة والخطر، مما أدى إلى إصابة حكومة الباشا بالعجز المادي والعسكري [1] .وبالتالي لم يستطع إمداد جيوشه في بلاد الشام بعناصر أخرى تتصدى لهذه الثورات.

أصبحت بوادر الاختلاف بين السلطان والوالي المصري واضحة حول تخلي هذا الأخير على بلاد الشام ساعيا إلى إيجاد طرق سلمية لحل المسألة السورية بطرحه فكرة عقد اتفاق في 1838 م [2]إلا أن التدخل الأجنبي خاصة بريطانيا وتقصير الدولة العثمانية فهم روح مصر الحديثة لم يكلّل هذا الاتفاق بالنجاح.

أمام هذا الوضع لم يبق في يد الدولة العثمانية لإنهاء المسألة السورية سوى إعلان الحرب ضد واليها، رافضة معاهدة **كوتاهية kotahia** التي وقعتها معه ووصفت على أنها صلح مزعزع الأساس وتنقصه عوامل الثبات، إضافة إلى ذلك كانت الظروف الدولية في صالحه وعلى رأسهم بريطانيا الداعية إلى سياستها التقليدية بحفاظها على أملاك الدولة العثمانية، كما تمثل موقف "**محمد علي باشا**" من وقوف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ونقض هذه الأخيرة المعاهدة بتمسكه بفكرة الاستقلال بقوله: « **إنني لا أرغب في الحرب ولن أقدم عل عمل عدائي ولكني أطلب الاستقلال لن أتخلى عن هذه الغاية...** »[3]، كما أمر ابنه "**إبراهيم باشا**" أن يستعد لأي هجوم من طرف الدولة العثمانية لأنها هي التي بدأت بالعملية الحربية وتتحمل مسؤولية ذلك [4].

1- عايض بن حزام الروقي، المرجع السابق، ص352.

2- تم بموجبها إعطاء ولايتي مصر وبلاد العرب لمحمد علي وإرثا له ولأولاده من بعده، وبلاد الشام إلى جبال طوروس مدى حياته. ينظر، غالب العربيات، خالد شنيكات، المرجع السابق، ص352.

3- السيد فرج، المرجع السابق، ص ص140-141.

4- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص358.

ب – معركة نصيبين[1]:

أرسلت الدولة العثمانية سنة **1839م 70** ألف مقاتل وفي رواية أخرى **100** ألف مجهزين بمدفعية مهمة ومعها طائفة من كبار روسيا وبروسيا بقيادة "**حافظ باشا**" في **40** ألف مقاتل[2] وانتهى الجيشان المصري والعثماني في سهل نصيبين يوم **24** جوان **1839**م، فانتصر الجيش المصري وهذا ما يدل على التفوق والكفاءة والتدريب متميز للقوات رغم الظروف التي حلت بهم في بلاد الشام [3]، فلقد اتضح قول "**سليمان باشا**" قبل المعركة بقوله: « **إن الواقعة المقلبة ستكون معركة فاصلة، فإما أن نذهب نحن إلى اسطنبول وإما أن يذهبوا هم إلى القاهرة** » [4].

فحقيقة ألحقت بالدولة العثمانية خسارة فادحة أمام القوات المصرية من جهة، وموت السلطان "**محمود الثاني**" [5] من جهة أخرى، أما الطرف المصري قد حقق انتصارين، حيث أكد قوته أمام الدول الأوروبية خاصة بريطانيا، وتثبتت الحكم المصري في سورية، أدهى من ذلك هو تسليم الأسطول العثماني إلى "**محمد علي باشا**" من طرف "**فوزي باشا**" الذي ساء ظنّه في "**خسروا باشا**" الذي كان صدرا أعظم وذو عداوة معه على أنه سوف يعزله بعد هذه المعركة، فلجأ إلى مصر وسلّم أسطوله إلى واليها[6]، كما اختلفت الروايات حول ذلك الأمر [7].

فأضحت الدولة العثمانية في فترة لا تقل عن شهر فاقدة جيشا وأسطولا وسلطانا، ومما زاد الطين بله هو اعتلاء السلطان "**عبد المجيد**" العرش [8]، الذي يبلغ من عمره 16 سنة.

1- **نصيبين**: هي منطقة تقع شمال ولاية حلب السورية.ينظر،عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص351. أما في كتب الإفرنج مشهورة باسم نزيب. ينظر، فريد بك المحامي، المصدر السابق، 453.

2- محمد كرد علي، المصدر السابق، ص ص63.

3- هدى علي بلال، المرجع السابق، ص353.

4- السيد فرج، المرجع السابق، ص145.

5- توفي ولم يصل خبر حادثة نصيبين لعدم وجود أسلاك برقية في هذه الفترة.أنظر، فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص454.

6- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص145.

7- هناك من يرى بأن فوزي باشا خاف من خسروا باشا على أن يسلم الأسطول العثماني إلى روسيا ثم يهاجمان سويا محمد علي. ينظر، خالد فهمي، المرجع السابق، ص377.

8- **عبدالمجيد**: ولد سنة 6 ماي 1822، وتولى الخلافة وعمره لا يتجاوز 16 سنة، حكم من(1839-1861م)، إذ كان أول سلطان تكلم بالفرنسية وتأثر بأفكار الثورة الفرنسية كما أنه سار على منهج والده الإصلاحي. ينظر، عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج 6، ص 853.

2 – مواقف الدول الأوروبية من الحرب:

لقد أكدت معركة نصيبين في سنة **1839**م أن القوى داخل إطار الدولة العثمانية أصبحت لصالح "**محمد علي باشا**" خاصة بعد انتقال الأسطول العثماني البحري إليه (كما أشارنا سابقا) كما أثبتت الدول الأوروبية في هذه المرة سيكون لها دورا بارزا لتصديها لمشروع "**محمد علي باشا**"، فلم تكن روسيا وحدها المستعدة للدخول في الحرب ضد الوالي المصري، بل تعدى ذلك إلى تدخل القوى الكبرى في معادلة سياسية وضعت أسسها بريطانية [1]، فأصبحت المواجهة الأوروبية المصرية لا نقاش فيها.

أضحت المسألة السورية عامل مهم في قيام الدول الخمس بريطانيا، فرنسا، روسيا، بروسيا، النمسا، للحفاظ على أملاك الدولة العثمانية، ووضع حدا "**لمحمد علي باشا**"، فلقد حاول المستشار النمساوي "**مترنيخ**" التوصل إلى تفاهم مع ممثلي الدول الأربع فاجتمع معهم في فيينا، وفي نفس الوقت أرسل وزير خارجية بريطانيا "**بالمرستون**" لممثله "**بيوفال beauval**" مشيرا إلى خطورة المسألة من خلال أمرين هما:

- أطماع روسيا في الدولة العثمانية.

- دعم فرنسا "**لمحمد علي باشا**" [2].

فكان تخوف وزير خارجية بريطانيا "**بالمرستون**" من "**محمد علي باشا**" أكثر من الدول الأوروبية الأخرى لكي لا يعود سيناريو **1833**م، وتسارع روسيا للوقوف مع الدولة العثمانية، فسارع لاتخاذ موقف صريح اتجاه هذه المسألة فمباشرة بعد معركة نصيبين أمر "**بالمرستون**" أميرال إنجليزي "**ستونفورد stopford**" في **29** جوان **1839**م بالاستعداد اتجاه المضايق في حالة ظهور تحرك روسيا نحو الدولة العثمانية، في نفس الوقت عرقلة السفن المصرية ومهاجمتها في البحر المتوسط إذا اقتضت الحاجة لذلك [3].

1- حسن الضيفة، المرجع السابق، ص174.

2- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص114.

3- نفسه، ص114.

كما أصّرت الدول الأوروبية لوضع حد لإنهاء الخلاف بين الطرفين خاصة بعد ما جنح السلطان "**عبد المجيد**" لحل النزاع بطرق سليمة، حيث أرسل إلى "**محمد علي باشا**" مندوبه "**عاكف أفندي**" يخبره بأن السلطان يخوله حكم مصر، إذا أرجعى الأسطول العثماني، فكانت ردت فعل الباشا بالقبول بشرط إعطاء سورية ومصر حكم وراثي[1].

أدركت الدول الخمس (بريطانيا، فرنسا، روسيا، بروسا، النمسا) أن السلطان سوف يخضع لشروط "**محمد علي باشا**" إذا لم تتدخل، وبناء على هذا قدّم سفراء هذه الدول مذكرة مشتركة إلى الباب العالي في **27** جويلية **1839**م[2]، جاء فيها: «... **تدعو إلى تأجيل إصدار أي قرار بدون موافقتها وأن ينتظر النتائج التي تفتقد القوى بأنها مهمة** »[3].

اتضحت مواقف الدول الأوروبية اتجاه هذه المسألة باختلاف أطماعها، فكانت روسيا تنتهز الفرصة لبسط نفوذها على الدولة العثمانية[4].

أما النمسا فقد ساند مستشارها "**متزينخ**" الدولة العثمانية لسببين:

– عدم إعطاء روسيا ذريعة للتدخل في شؤونها الداخلية وسط حمايتها عليها، لأن ذلك يشكل خطرا على النمسا.

– أنه كان ينظر إلى قيام "**محمد علي باشا**" ضد الدولة كثورة على الحاكم الرسمي، ويتعارض ذلك مع مبدئه بمقاومة الثورات التي يراد الخروج على سلطة الحكومات الرسمية[5].

أما فرنسا فرأت عدم تأييد "**محمد علي باشا**" سوف يفقدها أمرين:

– النفوذ الذي حصلت عليه في مصر.

1- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص149.

2- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص455.

3- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص115.

4- هدى علي بلال، المرجع السابق، ص353.

5- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص364.

– التخلي على الإمكانيات التي يمنحها إنتاج القطن المصري [1].

ومن جهة أخرى تطلعت إلى أن تفرض على مصر ضربا من الحماية ابتغاء التمكين لنفسها في الجزائر الخاضعة لاستعمارها [2].

أما بريطانيا أعلنت حمايتها على أملاك الدولة العثمانية والقضاء على **"محمد علي باشا"** الذي توجه إلى مناطق تحاذي مصالحها في الهند.

أما بروسيا فلم تكن لها أطماع في هذه الأزمة معلنة حفاظها على السلم الأوروبي من الحروب بالدرجة الأولى [3].

فاتضح الأمر **"لمحمد علي باشا"** بأن الأمور كلها بيد الدول الأوروبية وهذا ما بيّنه السلطان **"عبد المجيد"** في رسالة بعثها إليه في أوت **1834م** قائلا: « **إنّ الأمور ليست في يدي أو في يد خسروا باشا، وإنما سيقررها السفراء الأوروبيون في اسطنبول** »[4] فتفاقم أمر المسألة من مشكلة داخلية بين السلطان ووالية إلى مشكلة خارجية، وبالتالي لفتت الدول الأوروبية اهتمامها نحو المسألة لنشر الأمن والاستقرار الدولي.

كما أن **"محمد علي باشا"** لم تثير مخاوفه السياسة الدولية، خاصة بعدما التقى بالقنصلين الفرنسي والبريطاني في القاهرة وهددوه بتدمير الإسكندرية إذ لم يسلم الأسطول العثماني فرد عليهم قائلا: « **إنه إذا كانت القوى الأوروبية تريد إراقة الدماء فسيراق** »[5] فنرى بأن شوكته عظمت بعد انتصاره في معركة نصيبين **1839م**.

اقترح **"بالمرستون"** في **3** أوت **1839م** على رئيس الحكومة الفرنسية **"سولت Soult"** من خلال السفير البريطاني في باريس **"غرانفيل"** بإرسال الأسطولين الفرنسي والبريطاني لمواجهة **"محمد غلي باشا"** من أجل جلب الأسطول العثماني لكن فرنسا رفضت ذلك، فأصرّ**"بالمرستون"** إلى

1- بير رونوفان، المرجع السابق، ص134.

2- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، د.ط، د.د.ن، بيروت، 1968م، ص63.

3- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص364.

4- خالد فهمي، المرجع السابق، ص380.

5- نفسه، ص380.

إرسال تعليمات إلى الأميرال "**ستوبفورد**" قائلا: « **إن لم يكن وجود أسطولك مطلوبا عند مضيق الدردنيل، فإنه من المهم أن تقوم بمراقبة الأسطولين المصري والعثماني لمنع أي هجمات يمكن أن تشن على أراضي أو قوات السلطان... وممّا له الأهمية العظمي هو أنه إذا سنحت لك الفرصة للاستيلاء على الأسطول العثماني وفصله عن الأسطول المصري فهو ما يجب عليك فعله** » [1].وهكذا بدأت علامات التصدع في العلاقات البريطانية الفرنسية حول المسألة المصرية.

أثرت هذه المسألة في تمزيق العلاقات الدولية[2]، فبعد الخلاف الواضح بين فرنسا وبريطانيا حول المواجهة العسكرية "**لمحمد علي باشا**"، وجدتها روسيا فرصة للوقوف مع بريطانيا وكسر الوفاق الإنجليزي الفرنسي في أوروبا [3].

كما تواصلت جهود الدول الأوروبية في شأن هذه المسألة بعقد عدة اجتماعات ففي **19** أكتوبر **1839م** عقد اجتماع في لندن بين "**بالمرستون**" ومستشار السفارة الروسية ومبعوثها الخارجية بشأن وجود موقف واضح للحكومتين البريطانية والروسية من المسألة المصرية، وفي 24 أفريل **1840**م أكد وزير الخارجية الروسي "**الكونت نيسلورد Nesselorde**" ضرورة انسحاب "**محمد علي باشا**" مقابل منحه ولاية مصر، إلا أن الوالي المصري عارض هذا مؤكدا على ضم بلاد الشام [4].

لقد شهدت مباحثات لندن ركودا إلى غاية نهاية شهر ماي **1840**م، خاصة في هذا الشهر الذي انشغل فيه "**بالمرستون**" بمسألتين:

- انتظار وصول تقارير عن الوضع الداخلي في سوريا ومعارضة الأهالي لتواجد القوات المصرية.

- محاولة إقناع مجلس وزراء البريطاني بوجود حل للأزمة المصرية دون فرنسا [5].

1- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص116.

2- تفككت العلاقات بين فرنسا وبريطانيا لأن وزير خارجية هذه الأخيرة **بالمرستون** كان ذات عداوة شديدة حملتها على مصر، كما كان يريد أن تكون مساندته ضد محمد علي باشا لكي لا تستغل الفرصة مرة ثانية وتعيد الكرة على مصر. ينظر، williams, op-cit , p38.

3- بير رونوفان، المرجع السابق، ص149.

4- غالب العربيات، خالد شنيكات، المرجع السابق، ص394-400.

5- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص122.

ثالثا: تسوية المسألة السورية 1256-1265هـ/1840-1849م.

1- معاهدة لندن الأولى سنة 1256هـ/ 1840م:

استأنفت مباحثات لندن من جديد، بعدما بعثت الدولة العثمانية مندوبها "**شكيب باشا**" ليحل محل "**فوزي أفندي**" كممثل لها في مباحثات الأوروبية حول وجود حل للمسألة السورية [1] فقدم مذكرة حين وصوله في **30** ماي **1840**م يقول فيها: « **إن الموقع أدناه يكرر بإلحاح الشديد مطلب سلفه بأن ينفذ بأسرع ما يمكن ما أبدته مذكرة السابع والعشرين من تموز 1839م المشتركة من اهتمام...** » [2]، يتضح لنا بأن الدولة العثمانية أصبحت معتمدة على الدول الأوروبية في شؤونها الخارجية.

فحاول "**بالمرستون**" أن يناقش مع ممثلي روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا أمر المسألة، إلا أن فرنسا عارضت فكرة إعطاء القسم الجنوبي من سوريا "**لمحمد علي باشا**" طيلة حياته فقط، فمن هنا قررت القوى الكبرى الأربعة على وضع حدا نهائي لهذه مباحثات دون إحضار فرنسا، خاصة بعدما أرسل سفراء الدول الأوروبية في اسطنبول تقارير مقلقة الى حكوماتهم مفادها أن "**محمد علي باشا**" بعث وفدا برئاسة "**سامي بيك**" ليعرض على السلطان العثماني إعادة الأسطول العثماني مقابل أن يعترف السلطان بحكمه الوراثي على مصر وسوريا، كما كشف السفير بريطاني"**بونسونبي**" أن هناك وساطة فرنسية بين السلطان و"**محمد علي باشا**" يقوم بها الصحفي الفرنسي "**كوست coste**" [3].

أ - عقد المعاهدة:

تأكدت بريطانيا من موقف فرنسا فعملت على تأليب باقي الدول معها ضد "**محمد علي باشا**"، ففي **15** جويلية **1840**م وقعت معاهدة لندن بين "**اللورد بالمرستون**" وزير خارجية بريطانيا و"**البارون نومان**" السفير النمساوي و"**البارون بيلوف**" عن بروسيا و"**البارون برينوف**" عن روسيا

1- جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص57.

2- جوزيف حجار، **أوروبا ومصير الشرق العربي حرب الاستعمار علي محمد علي والنهضة العربية**، تر، بطرس الحلاق وماجد نعمة، د.ط، بيروت، 1976م، ص192.

3- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص ص123-124.

و"**شكيب أفندي**" وزير تركيا المفوض في لندن عن الباب العالي وقد تم توقيعها لمعالجة ما يعرف بالمسألة الشرقية [1]، والتي نصت على:

- الاكتفاء بمصر كي يحكمها هو وأكبر أفراد أسرته من بعده عن طريق الوراثة.
- التخلي على بلاد الشام فيما عدا الجزء الجنوبي منه.
- إرجاع الجزيرة العربية إلى الدولة العثمانية.
- ولايتي عكا وصيدا ليحكمها فترة حياته فقط.
- انسحاب من سوريا كويت وبلاد العرب [2].

كانت هذه المعاهدة نصرا دبلوماسيا للدولة العثمانية خاصة بعدما قيدّوه بعشرة أيام إذا لم يستجيب الشروط هذه المعاهدة سوف تحاصر ولايته في مصر، وإذا رفض خلال عشرة أيام يُعزل من حكم مصر [3].

وساعدت الدول الموقعة لهذه المعاهدة الدولة العثمانية بتأييدها عسكريا لإخضاع "**محمد علي باشا**"[4]، ورفضت فرنسا هذه المعاهدة واعتبرتها إهانة لها مما أدى إلى تأزم علاقاتها مع الدول الأربعة عامة وبريطانيا خاصة، أما "**محمد علي باشا**" حينما علم بهذه المعاهدة أخذ يستعد للدفاع عن ولاية مصر، وفي **16** أوت**1840**م بعثت الدولة العثمانية مندوبها "**رفعت بك**" يحمل شروط الاتفاق إلا أن "**محمد علي باشا**" رفض ذلك معتمدا على تأييده من طرف فرنسا من جهة، ومعاهدة كوتاهية وما خولته له من حقوق من جهة أخرى، ولكنه كان خاطئا في تصور أن دولة أوروبية تدخل في حرب من أجله [5].

1- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص292.

2- عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، **وثائق ونصوص**...، المرجع السابق، ص92.

3- حسن الضيفة، المرجع السابق، ص175.

4- أ.ج كرانت، تمبرلي هارولد، المرجع السابق، ص412.

5- جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص59.

ففي هذه الأثناء كانت فرنسا تتبع سياسة المسيو" **تيرس** " في مساعدتها "**لمحمد علي باشا**" ولكن لسوء حظ "**محمد علي باشا**" أن فرنسا لم تكن مستعدة لمواجهة أكبر دول أوروبا، ففي 9 أكتوبر سنة **1840**م، أمرت أساطيلها بالعودة اتجاه اليونان ثم نحو فرنسا، وتركت مصر والشام للمراكب انجلترا تواجهها [1].

نرى بأن فرنسا هي التي أرغمت "**محمد علي باشا**" بسلوكه هذا المسلك ثم تخلت عنه، فكان انسحابها من الميدان سنة **1840**م شبيها بانسحابها من المسألة المصرية سنة **1882**م، تاركة انجلترا تعمل لوحدها على تحقيق مصالحها في مصر، بحيث كانت فرنسا تفتح الباب نحو السيطرة والتغلغل ولكنها تخسر أمام منافستها بريطانيا، وسبب ذلك هو إتباع هذه الأخيرة سياسة مقيدة بقرارات البرلمان في جميع شؤونها.

إلا أن "**محمد علي باشا**" لم يستسلم لشروط هذه المعاهدة مما أدى إلى إعلان الحرب عليه من كافة الجبهات فحاصرت الأساطيل الإنجليزية والنمساوية والعثمانية للسواحل الشام [2]، واستولوا على عكا وقصفوها في **3** أيام، ثم اتجهوا نحو بيروت، وفي **3** نوفمبر **1840**م سقطت عكا في أيدي الحلفاء، مما أدى إلى نهاية الحكم المصري في سورية [3].نلاحظ أن بريطانيا عملت جاهدة على إبقاء مصر قوة تابعة إلى الدولة العثمانية.

أما باقي الدول لم تواجه في تحريض الطوائف ضد "**محمد علي باشا**"، فبروسيا لم يكن لها مراكب، أما روسيا لم ترد الابتعاد عن القسطنطينية [4].

فلقد تعدّت قوات الحلفاء إلى لبنان في تحريض الطوائف ضد الحكم المصري بحيث أن كل الدسائس والشائعات الأوروبية والتركية أكبر الأثر في استثمار هياج الثوار وفي استمرار عصيانهم [5] كما أنهم اتجهوا بمحاصرة السواحل المصرية، وضربها فأصبحت مصر بين نارين:

1- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص465.

2- حسن الضيفة، المرجع السابق، ص175.

3- خالد العربيات، غالب شنيكات، المرجع السابق، ص404.

3- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص466.

5- جهاد صالح، **روسيا وفلسطين العلاقات الروحية والتربوية والثقافية منذ القرن التاسع الميلادي وحتى بداية القرن العشرين**، ط1، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، فلسطين، د.ت، ص26.

- الفتن بين الشعب

- قوة الحلفاء فقد تمكنوا من احتلال ثغور سورية [1].

أمام هذا الوضع حاول "**شارل نايبيه napier**" قائد السفن الحربية الإنجليزية أن يستميل "**محمد علي باشا**" فاتفق معه على تسليم الأسطول العثماني وإخلاء سورية مقابل أن تضمن الدول لمحمد علي حكومة مصر وراثية ولا تمس سواحل مصر بسوء، وتم ذلك في **27** نوفمبر **1840**م، فرفض "**محمد علي باشا**" هذه الاتفاقية [2]، كما أن قوات الإنجليزية كانت على وشك اقتحام الإسكندرية إلا أن قوات المصرية كان صامدة وهذا ما يدل على تدريب الجيد والقدرة التي كان يتمتع بها "**محمد علي باشا**" وابنه "**إبراهيم باشا**" الذي كان يمثل القائد الشجاع وكما اعتبره المؤرخين أنه هو من أحيا الشعور العربي في بلاد الشام أثناء الحكم المصري فيها.

فغيرت بريطانيا موقفها نحو "**محمد علي باشا**" عن طريق وزير خارجيتها "**بالمرستون**" من أجل تخفيف العقوبة لعدة أسباب نذكر من بينها:

- أن ملكة بريطانيا كتبت إليه مرتين في أكتوبر ونوفمبر تطلب من أن يخفف من حدته نحو"**محمد علي باشا**".

– حدوث تغير وزاري في فرنسا بمجيء"**جيزو guizot**" على رأي الوزارة الجديدة فأصبح من الواجب على الحلفاء مصالحة فرنسا [3].

فأرسل مندوبوا كل من انجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا مذكرة إلى الباب العالي في **3** جانفي **1841**م يطالبونه فيها بالرجوع عن قرار عزل "**محمد على باشا**" الذي كان السلطان قد أصدره بعد أن رفض "**محمد علي باشا**" قبول شروط معاهدة لندن [4]، وفي نفس الوقت وجد نفسه وحيدا بعدما تركته فرنسا إلى إصدار أوامر لابنه "**إبراهيم باشا**" لتراجع وإخلاء سوية [5].

1- عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، **وثائق ونصوص**...، المرجع السابق، ص98.

2- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص151.

3- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق**...، المرجع السابق، ص320.

4- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص117.

5- عبد المنعم الجميعي، **وثائق ونصوص**...، المرجع السابق، ص92.

ففي هذه الأثناء أصدر السلطان "**عبد المجيد**" نتيجة تدخل الدول الأوروبية الأربع، قرارا في **13** فيفري **1841**م قرر فيه لأول مرة إعطاء "**محمد علي باشا**" وأسرته ولاية مصر وراثيا [1].

وفي **10**ماي **1841**م كتب "**محمد علي باشا**" رسالة يطلب العفو والمسامحة من السلطان قائلا: « **إن الله سبحانه وتعالى لم يثقل كاهل العبد بشروط ليست لا ليست في وسعه، فكيف يطلب السلطان خليفة الله في أرضه أن يضيق لمنته شروط لا يمكن تنفذيها** »[2].

ب– نتائج المعاهدة:

– لقد أسفرت معاهدة لندن بتحطيم آمال "**محمد علي باشا**" وتطلعاته من جهة، ورفع مركز مصر من ولاية مثل ولايات الدولة العثمانية إلى ولاية مستقلة استقلالا مقيدا بقيود السياسية التركية من جهة أخرى [3].

– كما نجحت الدول الأوروبية وعلى رأسهم بريطانيا في تقليم أظافر "**محمد علي باشا**" في مصر والشام وتحطيم كافة إنجازاته في مجال الاقتصاد والتعليم، وبالتالي استطاعت بريطانيا أن تضع أسس سياستها العسكرية والسياسية منذ ذلك الوقت إلى غاية **1882**م على مصر بفرضها نظام الانتداب عليها فنرى بريطانيا هي المنتصرة الوحيدة في هذه المعاهدة.

– كما تمكنت الدول الأوروبية في إطلاق يدها نحو بلاد الشام للعمل على تفكيك ما بقي من توازنات سياسة واقتصادية، فاستطاعت أن تعيد تشكيل البنيان السياسي والاقتصادي لولاياتها التي يجعلها فيما بعد بؤر سهلة لبسط النفوذ وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا[4].

– كما فقدت الدولة العثمانية هيبتها ومركزها أمام الدول الأوروبية، خاصة بعدما طلبت يد المساعدة منهم من جراء هذا الوالي المتمرد، فبفضل هذه المعاهدة التي وضعت حدا للجيوش المصرية التي هددت كيان الدولة العثمانية.

1– عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص151.ينظر، الملحق رقم4.

2- جمال محمود حجر، المرجع السابق، ص 61.

3– عبد المنعم الجميعي، **وثائق ونصوص**...، المرجع السابق، ص43.

4– حسن الضيفة، المرجع السابق، ص176.

-استطاعت معاهدة لندن أن تعيد الاستقرار الأمني في الساحة الأوروبية، فمنذ ذلك التاريخ **1840**م أخذت المعاهدات صفة دولية، أي جماعية وليست فردية مثل معاهدة أدرنة **1829**م أو معاهدة هنكار إسكله سي **1833**م سابقتان الذكر.

2- معاهدة لندن الثانية 1257هـ/ 1841م :

أ- عقد المعاهدة:

كان انضمام فرنسا في **15** مارس **1841**م إلى معاهدة لندن كفيلا بعودة وحدة النظام الأوربي فيما يخص تسوية المسألة الشرقية، فبعدما انتهت الأزمة العثمانية المصرية [1]، استلزم الأمر أيضا حل مشكلة مضايق البوسفور والدردنيل التي كانت المسألة المصرية سببا فيها انطلاقا من معاهدة هنكار اسكله سي سنة **1833**م [2].

لقد سعت الدول الكبرى الست [3]إلى عقد معاهدة جماعية في **13** جوان**1841**م أطلق عليها معاهدة لندن الخاصة بالمضايق، فتعتبر هذه الأخيرة نتيجة سياسية هامة لكل حوادث الشرق وما تبعتها من مفاوضات بين الدول الأوروبية، وكما ساهمت في تهدئة المشاعر الأوروبية المتضاربة بعد سنة **1841**م[4].

لقد تضمنت هذه المعاهدة ثلاث مواد نصت المادة الأولى على الاعتراف بالقانون القديم للدولة العثمانية والذي يقتضي بإغلاق مضيقي الدردنيل والبوسفور أمام السفن الحربية الأجنبية ما دام الباب العالي في حالة سلام من ناحية [5]، ومن ناحية أخرى بأن يعلن الأباطرة والملوك الدول الموقعة على هذه المعاهدة أنهم يتعهدون باحترام قرار السلطان والتزام به [6].

1- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص368.

2- أكمل الدين إحسان أوغلى، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، مج1، د.ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م، ص ص101-102.

3- **الدول الكبرى الست**: نقصد بها كل من بريطانيا وفرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا، إضافة إلى الدولة العثمانية ساهموا في إبرام معاهدة لندن الثانية أو كما تسمى بمعاهدة البوغازات. ينظر، فريد بك لمحامي، المصدر السابق، ص476.

4- بازيلي، المرجع السابق، ص411.

5- ألكسندروفنا دولينا أنييل، المرجع السابق، ص126.

6- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص223.

كما احتفظ السلطان لنفسه في المادة الثانية بحق منح تسهيلات بمرور السفن الحربية الخفيفة التي تستخدم في خدمة السفارات والقنصليات [1]، أما في المادة الثالثة نصت على التزام السلطان بتبليغ مضمون هذه الاتفاقية إلى جميع الدول الأوروبية التي تربطه بهم علاقات صداقة ويدعوهم للموافقة عليها [2].

إلا أن روسيا سعت جاهدة لتغير البند الأول من المعاهدة، فلقد حاول سفيرها "**برونوف**" بتغير هذا البند بحيث يتم منع السفن الحربية في كل الظروف، فكان يعني هذا لدى الدول الأوروبية هو وضع الدولة العثمانية تحت رحمة روسيا وإذا هاجمت هذه الأخيرة الدولة العثمانية لا تستطيع الدول فعل شيئا، لذا أصرت الدول الأوروبية على رفض هذا الاقتراح، لأن المضايق التركية هي الطريق الوحيد لإنقاذ الدولة العثمانية، كما لعبت انجلترا دورا كبيرا في هذه المعاهدة بفضل جهود "**بالمرستون**" وقد أكد هذا الأخير على ضرورة انضمام الطرف الفرنسي لهذه الاتفاقية الدولية التي تضمن الملاحة في المضايق التركية على رغم من أنها لم تشارك في معاهدة الأولى**1840**م[3].

ب- نتائج المعاهدة:

- حققت هذه المعاهدة نتائج هامة لكل الأطراف الفاعلة في معادلة النظام الأوروبي، فبالنسبة للدولة العثمانية فكانت هذه المعاهدة تتوافق مع سياسيتها فيما يخص سيادتها على المضايق [4]، كما اكتسب قوة دولية في تقرير حقها نحو غلق المضايق في وجه السفن الحربية الأجنبية [5].

- أما إنجلترا قد خدمت مصالحها بالدرجة الأولى، لأنها أوجدت ضمانا جماعيا أوربيا حول المضايق إذا حاولت روسيا في المستقبل تهديد مصالحها أو مصالح الدولة العثمانية فإنها تصطدم بالدول الأوروبية الأخرى الموقعة الاتفاقية من جهة [6]، كما كان نصرا دبلوماسيا بإلغاء ضمنيا معاهدة هنكار هنكار إسكله سي سنة **1833**م التي كانت تعطي لروسيا امتياز عسكريا من جهة أخرى [7].

1- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص368.

2- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص476.

3- محمد عبد الستار البدرى، المرجع السابق، ص217.

4- عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص 223.

5- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص369

6- إياد تركان إبراهيم الدليمي، المرجع السابق، ص134.

7- عبد العزيز الشناوى، المرجع السابق، ص224.

– أما روسيا بتوقيعها لهذه المعاهدة تكون قد اعترفت بخسارتها أمام المساعي الإنجليزية، خاصة بعدما ألغيت لها معاهدة هنكار إسلكه سي **1833**م، ومع ذلك أبدت ارتياحها لهذه المعاهدة التي منعت أيضا انجلترا عن استخدام الممرات في حال السلم لأغراض عسكرية[1].

نستشف أن وزير خارجية بريطانيا "**بالمرستون**" كان له دورا كبيرا في تسوية المسألة السورية سنة **1840**م ومشكلة المضايق سنة **1841**م، حيث تجلى دوره في هذه الأخيرة أنه عمل على تنظيم الأمن الدولي وذلك بجعل البحر الأسود بحرا مغلقا عن طريق الاتفاق الأوروبي.

3– مصر بعد التسوية

أ– أوضاع مصر:

كانت تسوية لندن **1840م–1841م** بداية لفترة جديدة في تاريخ مصر، بحيث أصبح لها وضع خاص إما في نطاق المسألة الشرقية أو خارجها، فالدول الأوروبية حققت سلامة الدولة العثمانية من جهة، ومن جهة الأخرى حطمت مصر وحدّت من توسعها مما أدى إلى تراجعها [2].

كما شهدت مصر ركودا كبيرا، حيث لم يستطع "**محمد علي باشا**" النهوض بها من جديد لسببين أولا تقدمه في السن، ثانيا هو حالة مصر الداخلية التي انهارت دفعة واحدة لما حل بأهلها من مصائب من جراء حروب التي أنهكتهم ماديا ومعنويا[3]، فتوجهت الحكومة المصرية إلى القيام بإصلاحات داخلية نافعة ولكن الحركة الإصلاحية التي ظهرت في نظم الدولة ومنشأتها السياسية والاقتصادية قد تغيرت، لأن "**محمد علي باشا**" أنقض جيشه وأحبط سياسته الاقتصادية وبذلك

1– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص368–369.

2– أحمد عبد الرحيم مصطفى، **علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي إسماعيل 1863م–1879م**، د.ط، دار المصارف، الإسكندرية، 1967م، ص75.

3– عمر الإسكندرى، سليم حسن، المرجع السابق، ص197.

اضمحل مصدر قوته الفعلية [1]. كما اضطر إلى إلغاء نظام الاحتكار الذي خدم الدول الأوروبية، إلا أنه أثر سلبا على تراجع ولاية مصر.

تعرضت مصر في سنة **1843**م لانتكاسة اقتصادية وذلك على إثر اجتياح الجراد للزراعة، كما تبعه هبوط النيل، فأصبحت تتراجع تدريجيا في اقتصادها نتيجة الظروف الطبيعي [2]، وعرفت تراجعا في الصناعة والتجارة بسب اهتمامها بالجيش والأسطول بحيث أغلق الكثير من المصانع وتدهورت بشكل عام على إثر القيود التي فرضتها تسوية لندن الأولى سنة **1840**م، وتراجعت النهضة الثقافية والعلمية بإغلاق عدة مدارس وبالتالي توقف النشاط العلمي في كثير من المجالات[3]، لكن في السنتين المتتاليتين (**1844-1845**م) شهدت مصر تحسن على إثر تنظيمات "**إبراهيم باشا**" الذي سيطر على دواليب الحكم وأصبح يسير شؤون الدولة [4].

ب- التدخل الأوروبي في مصر:

من تداعيات معاهدة لندن **1840**م، أنها فتحت مصر أمام التدخل الأجنبي عن طريق نظام الامتيازات الأجنبية وهذا ما ترتب عنه تدفق لأجانب طلبا للثروة والاستغلال مواردها بمساعدة قناصلهم في مصر، فاتسع نفوذهم بضعف الحكومة المصرية وبذلك عمّت الفوضى داخلها [5].

ولقد أملت الدول الأوروبية الكبرى التسوية وضمنت استمرارها وخلقت هذه الوصاية الدولية فرصة واسعة لتغلغل النفوذ الأوروبي الإنجليزي والفرنسي [6]، لذلك اتجه "**محمد علي باشا**" لمقاومة التواجد الأوروبي بإتباع أسلوب المجاملة للدولتين، فقد حاول أن يستغل المنافسة الفرنسية والبريطانية، ليجدد تعاونه مع حكومة الفرنسية في تحصين السواحل المصرية [7].

4- محمد صبري، المرجع السابق، ص ص79-80.

2- عمر الإسكندرى، سليم حسن، المرجع السابق، ص197.

3- شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص150.

4- عمر الإسكندرى،سليم حسن، المرجع السابق، ص198.

5- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق**...، المرجع السابق، ص139.

6- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ مصر**...، المرجع السابق، ص 105.

7- أحمد مصطفى، **علاقات مصر**...، المرجع السابق، ص7.

لقد ظلت سياسة "**محمد علي باشا**" الخارجية على ما كانت عليه عون أن يطرأ عليها تغيير كبير، خاصة ارتيابه من بريطانيا جعله يرفض منحهم امتيازا بحفر قناة السويس بسب سياسة "**بالمرستون**" العنيفة التي لم يمر عليها أربعة سنوات [1]، كما حاولت فرنسا الحصول على امتيازا فيما يخص مشروع قناة السويس، إلا أن الوالي المصري تردد في الموافقة خوفا من معارضة انجلترا، كما أصّر على ضمانات تجعل المشروع مصريا بحت، ويكون رأس المال من مصر [2].

فسعى "**محمد علي باشا**" في كثير من المرّات لتحقيق استقلال ذاتي إذ نجده وضع يده على المواصلات النيلية (نسبة إلى النيل) والبرية التابعة لبريطانيا فاشتراها ووضعها تحت إشرافه، كما قام بشراء مصلحة **الترانزيت** والتي عرفت باسم"**دوي لندروت**" فقد أعاد تنظيمها وأصبحت من خيرة المصالح في مصر[3].

اقتنع "**محمد علي باشا**" بأنه لا جدوى من الاعتماد على فرنسا أو أي دولة الأوروبية الأخرى واعتبر بأن النفوذ التركي أقل إذلالا وأسهل من المقاومة والنفوذ الأوروبي، لذلك سعى إلى تحسين علاقته مع السلطان العثمانية، بحيث أصبح هذا التوجه هو حجر أساس "**لمحمد علي باشا**" منذ التسوية لندن **1840-1841**م [4].

ج- أواخر حكم محمد علي باشا:

عرفت المراحل الأخيرة من حكم "**محمد علي باشا**" سلسلة من تمردات الطويلة والتي أثارها "**الباشبوزق المزمن**" ولم يكن باستطاعته التصدي إليها نظرا لكبر سنه فأخذ تدريجيا يسلم زمام الأمور لابنه "**إبراهيم باشا**" الذي عينه كقائم مقام في **1847**م، ولكن الأرجح أنه بدأ يشعر بضعف في قواه العقلية، لذا كلفه بتسيير شؤون مصر داخليا وخارجيا[5].

1- جورج يانج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، تح، علي أحمد شكري، ط2، مكتبة مبدولي، القاهرة، 1996م، ص168.

2- أحمد مصطفى، **علاقات مصر**...،المرجع السابق، ص ص 7-8.

3- إلياس الأيوبي، **محمد علي سيرته وأعماله وأثاره**، د.ط، إدارة الهلال، مصر، 1923م، ص 136.

4- أحمد مصطفى، **علاقات مصر**...، المرجع السابق، ص8.

5- جورج يانج، المرجع السابق، ص 169.

كما سعى "**محمد علي باشا**"إلى تجديد وتنظيم نظام الري العتيق في مصر فقد وضع بيده الحجر الأساسي للقناطر الخيرية العظيمة وكان عمره حينها قد تجاوز سبعة وسبعين سنة [1]، لم يعد حينها قادرا على القيام بواجبات الحكم وأعبائه بعد رحلته طويلة والشاقة والتي فقد فيها معظم أبناءه وهو على قيد الحياة وآخرهم وفاة "**إبراهيم باشا**" في نوفمبر **1848**م وهو أقرب أبنائه إلى قلبه عن عمر ناهز **60** سنة، حيث توفي قبل والده بعام تقريبا[2]، وفي الأيام الأخيرة من حياته حنّت نفسه إلى رؤية الأماكن التي نشأ فيها فقصد سلانيك، ثم اتجه إلى الأستانة حيث أستقبل استقبالا رسميا [3]، وقد رأى السلطان العثماني "**عبد المجيد**" ضرورة أن يكرمه –بالرغم من أنه حارب الدولة العثمانية وكاد يقضي عليها–، فقرر رفع رتبته إلى الصدارة العظمى وقلّده وساما [4].

ثم عاد إلى مصر ولم يمكث طويلا بعد تولية حفيده "**عباس باشا**" إلا أشهر قليلة حتى استفحل أمر جنونه، ليكون آخر ما قاله وهو يودع الحياة «... **سيجني أحفادي ثمار ما زرعت**...» [5]، توفي بالإسكندرية (**13**رمضان**1265**هـ/**2** أغسطس**1849**م) وبذلك انتهت حياته ودفن بمسجده الذي شيده بالقلعة سنة **1831**م [6].

وبهذا انتهت حياة هذا الرجل العظيم الذي ترك وراءه مجدا خالدا في الأذهان فقد توفي بعد أن وضع أسس الدولة المصرية وحقق لها استقلال ووحدتها وشيد دعائم نهضتها وبذلك تشهد له مصر بالعطاء والتضحية.

1- إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص136.

2- نشأت الديهي، **محمد علي باشا بدايات قاسية ومجد عظيم**، د ط، دار الجمهورية، مصر، 2009م، ص236.

3- جورج يانج، المرجع السابق، ص ص170-171.

4- إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص137.

5- جورج يانج، المرجع السابق، ص178.

6- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص573-574.

الخاتمة

شهدت أرض الكنانة (مصر)اهتماما كبيرا من طرف الرحالة الأوروبيين عامة والفرنسيين والبريطانيين خاصة في النصف الثاني من القرن **18**م بوفودهم إليها بأقلام مختلفة عن أقلام القرن **16-17**م، حيث أنهم صوروا لحكوماتهم دراسة معمقة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تمر بها البلاد مشجعين رؤسائهم عن احتلال هذه الرقعة الجغرافية التي تعتبر همزة وصل بين الشرق والغرب وهذا ما ينطبق على قول نابليون بونابرت " إن الجغرافية هي العنصر الوحيد الثابت في التاريخ"

كما واجهت أكبر تحدٍ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بتمرد " **علي بك الكبير** " الذي أراد الانفصال عن الدولة العثمانية، وفاتحا مصر على مصراعيها للتوغل الأجنبي بإلغائه سياسة العزلة، فكانت فرصة لزيادة النشاط الدبلوماسي المتمثل في القناصل الفرنسيين والبريطانيين خاصة الذين سعوا إلى كسب تسهيلات وعقد معاهدات لدخول سفنهم إلى الموانئ الإسكندرية من طرف المماليك، فأصبح الصراع حادا بين الطرفين (فرنسا-بريطانيا) لكسب أكبر قدر من المصالح في هذه البلاد فجاءت الحملة الفرنسية سنة **1798**م لرضخ شوكة الإنجليز في الشرق بطريقة غير مباشرة في مصر.

حقيقة أن مصر كانت ذات أهمية كبيرة لدى فرنسا وبريطانيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر من اجل حماية مستعمراتهم في الشرق الأوسط وكسب نفوذ اكبر في البحر المتوسط، وهذا ما عايشته مصر بعد خروج الحملة الفرنسية في سنة **1801**م بصراع مرير بين الطرفين بطرق مختلفة لاحتلالها، ولكن ظهور الضابط الألباني العثماني "**محمد علي باشا**" الذي استطاع أن يثبت حكمه في جو من الدسائس والتمردات باعتماده الكلي على مساندة الشعب له من جهة، وجنوده من جهة أخرى، وهذا ما أظهره في بداية حكمه لرد حملة فريزر سنة **1807**م، كما قام بعدة إصلاحات معتمدا على الغرب من اجل مواكبة التقدم الأوروبي وبناء علاقة مع أهم الدول خاصة فرنسا التي ساندته بخبرائها وتأييدها له إلى غاية **1840**م.

برزت قوات "**محمد علي باشا**" لدى الباب العالي الذي لم يهدأ له بال منذ توليته على ولاية مصر، ساعيا إلى تدبير الدسائس لعزله من تلك الولاية، إلا أن انبهاره بجيشه وأسطوله البحري جعله يستعين به لتحقيق أهدافه نحو إخضاع الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية التي شكّكت في شرعية الدولة العثمانية، وكذلك حرب اليونان التي لعب فيها ابنه "**إبراهيم باشا**" دورا مهما رغم انهزامه في معركة نافرين **1827**م المشهورة، إلا أنه أكسب مصر مركزا دوليا باقتحامه لهذه الأراضي الأوروبية،

وهذا ما جعل القوى الأوروبية تلفت انتباهها له خاصة بريطانيا التي عقدت معه معاهدة مباشرة بعد الحرب في سنة **1828**م لجلاء اليونان، كما أدرك "**محمد علي باشا**" أن سياسته التوسعية يجب أن تتماشى مع متطلبات السياسة البريطانية وهذا ما افشل مشروعه نحو الغرب (فكرة سيطرة فرنسا على الجزائر) فنرى بأن "**محمد علي باشا**" في عشرينيات القرن التاسع عشر كان يهدف إلى تقديم الدليل العملي على مدى نفعه للسياسة البريطانية.

إن القناعة التي يمتلكها "**محمد علي باشا**" نحو إستراتيجية توسعه لتحقيق أهدافه لم يكن ساعيا لإرضاء الدولة العثمانية وإنما كان هادفا إلى تحقيق دولة كبرى على أنقاض هذه الأخيرة، خاصة وأن الظروف الدولية فتحت له المجال لتوسيع ممتلكاته نحو الشرق في بداية ثلاثينيات القرن التاسع عشر، إلا أن وصوله إلى قونية() وتقديم روسيا المساعدة للباب العالي ضد هذا الوالي المصري دقت ناقوس الخطر من طرف الدول الأوروبية عامة وبريطانيا وفرنسا خاصة التي اعتبروها فرصة لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين روسيا و"**محمد علي باشا**"، وممّا زاد الطين بلة هو توقيع الدولة العثمانية معاهدة هنكار اسكله سي مع روسيا سنة **1833**م التي كانت ضربة قاضية لبريطانيا في ذهاب مكانتها داخل الأراضي العثمانية.

فمنذ ذلك التقارب الروسي العثماني الذي حققت فيه الحكومة الروسية مكاسب لم تستطيع تحقيقها منذ القرن **16**م، جعلت الدول الأوروبية تغير مواقفها اتجاه "**محمد علي باشا**" بالاتفاق على وضع حد له خاصة بريطانيا وبأخص وزير خارجيتها "**بالمرستون**" ذلك الرجل السياسي الذي لم تعرف بريطانيا قبله مثيلا بقدرة دهائه نحو محافظته على مصالح دولته في الشرق، معتبرا أن المعاهدة سابقة الذكر كان "**محمد علي باشا**" سببا في توقيعها خاصة وان روسيا هي العدو اللدود للدولة العثمانية، كما كان العامل الأساسي الذي حرك الدول اتجاه محمد علي باشا هو التدخل الروسي الذي قلب موازين القوى.

أضحت السياسة الخارجية لمحمد علي باشا تؤثر وتتأثر بالأمن الدولي خاصة سياسته الاقتصادية التي أضرت باقتصادها بريطانيا في أسواق الشرق الأوسط، ممّا جعل "**بالمرستون**" يعلن مواجهته لمصر بعقد معاهدة بلطة ليمان سنة **1838**م التي اعتبرت السم القاتل في تراجع اقتصاد مصر، إذ تمكن "**بالمرستون**" أن يضرب عصفورين بحجر واحد باسترجاع مكانة بريطانيا نحو الشرق الأوسط، كما تمكن من تأليب مواقف الدول الأوروبية (روسيا وبروسيا والنمسا) –ماعدا فرنسا– إلى

جانبه من أجل المواجهة العسكرية ضد "**محمد علي باشا**" الذي قوّيت شوكته بعد معركة نصيبين **1839**م، بجيشه القوي الذي يحمي الذّمار ويدفع الغارة ويدحر الأعداء، بعقد معاهدة لندن **1840**م التي أنهت حلم "**محمد علي باشا**" من فتوحاته وأرجعته إلى حدوده الأصلية.

استطاع "**محمد علي باشا**" بفضل طموحه الجامح من أن يحصل على حكم مصر وراثيا، لكن وإن اعتبر هذا نصرا له فإنه في مقابل ذلك جلب الويلات على ولايته بازدياد التغلغل الأجنبي فيها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانت نهاية الرجل الداهية هو الجنون، وسقوط بلاده التي ضحى من أجلها في يد الاستعمار البريطاني سنة **1882**م.

الملاحق

الملحق رقم (2): رسالة من بولينياك إلى جيومينو. (بتصرف)

باريس بتاريخ 10 أكتوبر 1829

(...) إن تدمير القراصنة الذين تجرءوا على سب فرنسا والذين يعتبر وجودهم كارثة على أوروبا وهو م اشد انتباه حكومة جلالة الملك – إن فوائد مشروع كهذا لا يلزم منه عرض عليكم ولكن جلالته يعتقد أنه قبل تنفيذ المشروع يجب أن يعتمد على تفاهم مسبق مع الباب العالي العثماني وقد اعتبرت جلالته أن الفرصة الحالية سانحة بأن يكون حل مسألة الشرق الأوسط مساهمة بشكل فعال في إعادة العلاقات الحميمة القديمة بين فرنسا وتركيا والتي تجمع الإمبراطوريتين وبخاصة أنهما كانا مستعدين لفتح مفاوضات بإسنادها إلى أهليتكم الفائقة.

(...) إن الفائدة التي تعود على الباب العالي تجعله على اتفاق تام مع رؤية نائب الملك المصري، ثم أن السيادة الإقطاعية التي يمارسها على الأقاليم البربريسكية ما هي إلا شكلية فحسب وليس لها اختيار السلطات التي تسيرها، فهي لا يستلم منها أية ضرائب وقليلا من المعونة – إن تصرفات هؤلاء القراصنة ما هي غلا سبب من أسباب المظالم والمهاترات بين المسيحيين والباب العالي م هي وصمة عار في جبين ملك إمبراطورية تتعاضى عن تلك التصرفات المخجلة والمبالغة في داخل إمبراطوريته – السلطان محمود الثاني الذي قام بانجازات متقدمة على المستوى الحضاري لصالح شعبه لا يمكنه أن يسمح بتلطيخ سمعته بحماية تابعين له لا يستحقون شرف الانتماء إلى دولته. إذا أصبحت الأقاليم الجزائرية والتونسية والطرابلسية خاضعة لإدارة الباب العالي كما هو الحال بالنسبة لمصر فإنها ستصبح ذات موانئ مزدهرة بالتجارة وتصبح أراضيها الخصبة منتجة إذا صارت إلى أيدي أناس جادين في العمل وتشجعهم الحكومة على ذلك في ظل السلام، وهكذا تدفع هذه الأقاليم خراجها إلى الباب العالي العثماني كما هو الحال بالنسبة لبقية الباشالكية، وبذلك يحصل الباب العالي على مصادر مهمة ومتنوعة مما يقويه ويجعله يستعيض عن خسائره التي تجرعها في أماكن

و هناك فوائد أخرى يحصل عليها الباب العالي من خلال تكليف نائب الملك بإخضاع كل السواحل الإفريقية على البحر المتوسط، وبالتالي يتم تغيير وجهة هذا الأمير القوي الذي غالبا ما يفصح عن طموحات حول سورية.وأنه يجب عليك سيدي أن تبعد عنك وبشكل دقيق هذا ا لاعتبار الأخير والذي من المحتمل أن يجرح كبرياء السلطان .

فتلك بشكل عام الاعتبارات التي ينبغي أن تقدموها للحكومة العثمانية لإقناعها بأن تبعث فرمان، كما نرغب، إلى الملك ليتم الملك ليتم تكليفه.وهناك أشياء أخرى ستعتمدون عليها وتعطيكم الصلاحية الكافية.

إن جلالة الملك تم سبه بشكل فضيع من طرف تابع للباب العالي العثماني، وإعادة اعتبار الملك تقضي بأن يعاقب داي الجزائر عقابا رادعا(..)[1].

ش ع. مراسلات سياسية، تركيا 255، ص 307-313.

1 -جيورج دوين، المصدر السابق، ص ص 126-128.

الملحق رقم (4) : **صورة** الخط الشريف الهماني المانح محمد علي ولاية مصر بطريق التوريث مؤرخ في 13فبراير 1841م الموافق 21 ذي القعدة سنة 1256.(بتصرف)

(...) رأينا بسرور ما عرضتموه من البراهين على خضوعكم وتأكيدات أمناتتكم صدق عبوديتكم الشاهانية ولمصلحة بابنا العالي، فطول اختباركم ومالكم من الدراية بأحوال البلاد المسلمة إدارتها من مدة مديدة، لا يتركان لنا ريبا بأنكم قادرون بما تبدونه من الغيرة ونفسه إحساناتنا إليكم قدرها وتجتهدون ببث هذه المزايا التي امتزتم بها في أولادكم، وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم في الحكومة المصرية المبينة حدودها في الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الأعظم، ومنحناكم فضلا على ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتي بيانها : متى خلا منصب الولاية المصرية تعهد الولاية إلى من تنتخبه سدتنا الملوكية من أولادكم الذكور، وتجري هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جرا. وإذا انقرضت ذريتكم الذكور لا يكون لأولاد نساء عائلتكم الذكور حق ايا كان في الولاية المذكورة، على أن حق التوارث الممنوح لوالي مصر لا يمنحه رتبة ولا لقبا على من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولاحقا في التقدم عليكم بل يعامل بذات معاملة زملائه وجميع أحكام خطنا الشريف الهمايوني الصادر عن كلخانة، وكافة القوانين الإدارية الجاري العمل بها أو تلك التي سيجري العمل بموجبها في ممالكنا العثمانية، وجميع العهود المعقودة أو التي ستعقد في مستقبل الأيام بين بابنا العالي والدول المتحابة، يتبع الإجراء على مقتضاها جميعها في ولاية مصر أيضا، وكل ما هو مفروض على المصريين من الأموال والضرائب يجري تحصيله باسمنا الملوكي، ولكن لا يكون أهالي مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالي معرضين للمضار والأموال والضرائب غير القانونية، يجب أن تنظم تلك الأموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة ترتيبها في سائر الممالك العثمانية وربع الإيرادات الناتجة من الرسوم الجمار كية ومن باقي الضرائب التي تتحصل في الديار المصرية يتحصل بتمامه ولا يخصم منه شيء ويؤدي إلى خزينة بابنا العامرة، وبنفقات الولي وبأثمان الغلال الملزومة مصر بتقديمها سنويا إلى البلاد المقدسة مكة والمدينة. ويبقى هذا الخراج مستمرا دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروحة مدة خمس سنوات تبتدئ من عام 1257 هـ أي يوم فبراير سنة 1841م.ومن الممكن ترتبي حالة أخرى بشأنهم في مستقبل الأيام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلة ونوع الظروف التي ربما تجد عليها...كما تكون قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالي كاسوة قوات المملكة العثمانية الباقية....وللحكومة المصرية أن تعين ضباط برية وبحرية حتى رتبة الملازم، أما ما كان اعلي من هذه الرتبة فالتعيين إليها راجع لأردتنا الشاهانية. ولا يسوغ لوالي مصر ان ينشئ من ألان فصاعدا سفنا حربية إلا بإذننا الخصوصي، وحيث أن الامتياز المعطى بوراثة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه، ففي عدم تنفيذ احد هذه الشروط موجب لاتكال هذا الامتياز والغاية للحال.و بناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف الملوكي كي تقدروا انتم وأولادكم قدر إحساننا الشاهاني، فتعنون كل الاعتناء بإتمام الشروط المقررة فيه، وتحمون أهالي مصر من كم فعل إكراهي، وتكفلونا أمنهم وسعادتهم من الحذر من مخالفة أو أمرانا الملوكية وأخبار بابنا العالي عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهودة ولايتها لكم... [1]

1- سليمان بن محمد الغنّام، المرجع السابق، ص ص 161-163.

قائمة المصادر والمراجع

-القران الكريم.

أ- المصادر

1. أبو الفضل محمد عبد الفتاح، **الصحوة المصرية في عهد محمد علي**، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، د.ب، 1998 م.

2. أنتيس جون، **مذكرات رحالة عن المصرين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس من (1770م-1782م)**، تر، السيد أحمد علي الناصري، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

3. الأيوبي إلياس، **محمد علي سيرته وأعماله وأثاره**، د.ط، إدارة الهلال، مصر، 1923م.

4. التركي نيقولا، **الحملة الفرنسية على مصر والشام**، تح، ياسين سويد، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1990 م.

5. الجبرتي عبد الرحمن، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج4، د.ط، مطبعة بولاق، د.ب، 1997م.

6. حجار جوزيف، **أوروبا ومصير الشرق العربي حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية**، تر، بطرس الحلاق وماجد نعمة، بيروت، 1976م.

7. الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج2، د.ط، دار صادر، بيروت، 1977م.

8. دوين جيورج، **محمد علي والحملة الفرنسية على الجزائر (1829م -1830م)**، تر، صادق سلام، د.ط، عالم الأفكار، الجزائر، د.ت.

9. الرافعي عبد الرحمن، **عصر محمد علي**، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989 م.

10. الرجبي خليل بن احمد، **تاريخ الوزير محمد علي**، تح، دانيال كريسيليوس وآخرون، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1997م.

11. العطار نادر، **العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا**، د.ط، د.د.ن، د.ب، د.ت.

12. علماء الحملة الفرنسية، **وصف مصر**، تر، زهير الشايب، مج، ط3، د.ب، 1992 م.

13. كرد علي محمد، **خطط الشام**، ج3، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م.

14. كوران أرجمنت، **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تر، عبد الجليل، د.ط، منشورات الجامعة التونسية، 1957م.

15. لورانس هنري وآخرون، **الحملة الفرنسية في مصر**، تر، بشير السباعي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1995 م.

16. مبارك سعادة علي باشا، **من الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ج1، مطبعة بولاق، د.ب، 1306هـ.

17. مجهول، **مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا**، تح وتق، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، د.ت.

18. المحامي فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح، إحسان حقي، ط5، دار النفائس، بيروت، 1986م.

19. المرادي أبي الفضل محمد خليل بن علي (1173هـ-1206هـ)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثامن عشر**، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

20. ن. س. جيرار، **وصف مصر موسوعة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر**، تر، زهير الشايب، مج4، ج 1، د.ط، دار الشايب للنشر، د.ت.

ب-**المراجع** :

1- المراجع العربية :

1. أ.ج.جرانت وتمبرلي هارولد، **أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين(1787-1750م)**، تر، بهاء فهمي واحمد عزت عبد الكريم، د.د.ن، القاهرة، 1967م.

2. الإسكندرى عمر وحسن سليم، **تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر**، د.ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.

3. أنطنيوس جورج، **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية**، تر، ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

4. أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر، عدنان محمد سلمان، مر، تن، محمود الأنصاري، مج1، منشورات مؤسسة الفيصل لتمويل، إسطنبول، 1988م.

5. أوغلو عبد القادر، **السلاطين العثمانيون**، تر، محمد جان، د.ط، دار سحنون، د.ب، 1990م.

6. أوغلى أكمل الدين إحسان، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر، صالح سعداوي، مج1، د.ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م.

7. بازيلي، **سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية**، تر، يسر جابر، مر، منذر جابر، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1988م.

8. البدرى محمد عبد الستار، **المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2001 م.

9. بركات مصطفى، **الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات(1571–1924م)**، د.ط، دار غريب، القاهرة، 2000م.

10. بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر، قيس أمين قارس، منير البعلبكي، ط5، بيروت، 1968م.

11. بيضون جميل وآخرون، **تاريخ العرب الحديث**، ط1، دار الأمل، د.ب، د.ت.

12. جاد طه، **معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر**، د.ط، دار الفكر العربي، د.ب، د.ت.

13. الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2000م.

14. الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، د.ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.

15. الجميعي عبد المنعم إبراهيم الدسوقي، **العثمانيون بين أوروبا والعرب ومحمد علي**، د.ط، د.د.ن، القاهرة، 2001 م.

16. الجميعي عبد المنعم إبراهيم الدسوقي، **وثائق ونصوص في تاريخ الدولة العلية العثمانية وتاريخ مصر العثمانية**، د ط، د د ن، د ب، د ت.

17. الجميل سيار، **تكوين العرب الحديث**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م.

18. حاطوم نور الدين، **تاريخ الحركات القومية**، ج1، ط1، دار الفكر، د.ب، 1979م.

19. حجر جمال محمود، **القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين**، تق، عمر عبد العزيز عمر، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1989م.

20. الدقن السيد محمد، **تاريخ مصر الحديث**، د.ط، مكتب الوصفي للدلالات الكاتبة، د.ب، 1979م.

21.دولينا أنينل ألكسندروفنا، **الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية**، تر، أنور محمد إبراهيم، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، 1999م.

22.الديهي نشأت، **محمد علي باشا بدايات قاسية ومجد عظيم**، د.ط، دار الجمهورية، مصر، 2009م.

23.ذهني الهام محمد علي، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر**، د.ط، مصر النهضة، مصر، 1992م.

24.ذهني الهام محمد علي، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر**، د.ط، مصر النهضة، مصر، 1992م.

25.ذهني الهام محمد علي، **مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنيين السادس عشر والسابع عشر**، د.ط، مصر النهضة، مصر، 1991م.

26.رمضان عبد العظيم، **تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.

27.الروقي عايض بن حزام، **حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية (1247–1255هـ/1831–1839م)**، د.ط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1986م.

28.رونوفان بير، **تاريخ العلاقات الدولية(1815–1914م)**، تع، جلال يحيى، ط2، دار المعارف، مصر، 1971م.

29.سالم لطيفة محمد، **الحكم المصري في الشام (1831–1841م)**، د.ط، القاهرة، 1990م.

30.سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

31.السيد سيد محمد، **دراسات في التاريخ العثماني**، ط1، دار الصحوة للنشر، د.ب، 1996م.

32.شبارو عصام محمد، **المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني**، د.ط، دار التضامن، د.ب، 1992م.

33.الشناوي عبد العزيز محمد، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2004م.

34.الشيال جمال الدين، **تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي**، د.ط، دار الفكر العربي، مصر، 1951 م.

35.الشيخ رأفت، **تاريخ العرب الحديث**، د.ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ب، د.ت، 1994م.

36.صالح جهاد، **روسيا وفلسطين العلاقات الروحية والتربوية والثقافية منذ القرن التاسع عشر الميلادي حتى بداية القرن العشرين**، ط1، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، فلسطين، د.ت.

37.صبري محمد، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم**، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، 1926م.

38.الصلابي محمد علي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، د.ط، دار الدعوة، د.ب، د.ت.

39.الضيفة حسن، **دولة محمد علي والغرب(الاستحواذ والاستقلال)**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2002 م.

40.طربين أحمد، **تاريخ المشرق العربي المعاصر**، د.ط، المطبعة الجديدة، دمشق، 1986م.

41.طقوش محمد سهيل، **تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة**، ط3، دار النفائس، لبنان، 2013م.

42.طوسون عمر، **صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي، الجيش المصري البري والبحري**، ط2، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1996 م.

43.عبيد جميل، **قصة احتلال محمد علي اليونان(1824م-1827م)**، د.ط، مطابع هيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.

44.العطار سلوى، **التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي**، ط1، دار النهضة العربية للطبع والنشر، القاهرة، 1989م.

45.العطار نادر، **العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا**، د.ط، د.د.ن، د.ب، د.ت.

46.عمر عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

47.عودة محمد عبد الله وخطيب إبراهيم ياسين، **تاريخ العرب الحديث**، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989 م.

48.عوض أحمد حافض، **نابليون بونابرت في مصر**، د.ط، كلمات هنداوي، القاهرة، 2012م.

49.عوف أحمد، **أحوال مصر من عصر لعصر**، د.ط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، د.ت .

50.العيدروس محمد حسن، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، ط 2، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ب، 1998 م.

51.غربي الغالي، **دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي(1288–1916م)**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

52.الغنّام سليمان بن محمد، **قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية(1811–1840م) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا**، ط1، المركز الثقافي العربي، د.ب، 2004م.

53.فارس محمد خير، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال**، ط2، مكتبة دار الشروق، بيروت، 1979م.

54.فرج السيد، **حروب محمد علي**، د.ط، مطبعة التوكل بالجمامين، د.ب، 1999 م.

55.فهمي خالد، **كل الرجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة**، تر، شريف يونس، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2001م.

56.قنان جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، د.ب، 1994م.

57.مارلو جون، **تاريخ النهب الاستعماري لمصر من الحملة الفرنسية 1798 م إلى الاحتلال البريطاني1882م**، تر، عبد العظيم رمضان، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967م.

58.المحجوبي علي، **النهضة الحديثة في القرن 19م، لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان؟**، د.ط، د.د.ن، تونس، 1999م.

59.مرير السيد وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، تر، محمود عابدين وسليم حسن، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

60.مصطفى أحمد عبد الرحيم، **تاريخ مصر الحديث والمعاصر(1571–1922م**)، د.ط، دار المعرفة الجامعية، 2000م.

61.مصطفى أحمد عبد الرحيم، **علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو إسماعيل (1863–1879م)**، د.ط، دار المصارف، الإسكندرية، 1967م.

62.مصطفى أحمد عبد الرحيم، **في أصول التاريخ العثماني**، ط2، دار الشروق، د.ب، 1993م.

63.مصطفى نادية محمود، **العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية**، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م.

64.مقار نسيم، **الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر والسودان**، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985 م.

65.مؤنس حسين، **الشرق الإسلامي في العصر الحديث**، ط2، مطبعة الحجازي، القاهرة، 1938م.

66.النجار جميل موسى، **الإدارة العثمانية في ولاية بغداد**، ط1، د.د.ن، القاهرة، 1991م.

67.النعنعي عبد المجيد، **أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة(1840–1454م)**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

68.نوار عبد العزيز سليمان وجمال الدين محمود محمد، **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى**، د ط، دار الفكر العربي، د.ب، 1999م.

69.نوار عبد العزيز، **النهضة العربية الحديثة**، ط1، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.ب، 2002م.

70.نوار عبد العزيز، **تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق**، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.

71.هرشلاغ.ز.ي، **مدخل إلى تاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط**، تر، مصطفى الحسيني، د.ط، دار الحقيقة، بيروت، 1973م.

72.هريدي صلاح أحمد، **دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (1517–1882م)**، د.ط، جامعة الإسكندرية، 1999م.

73.ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، د.ب، 1997م.

74.يانج جورج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، تع، علي أحمد شكري، ط2، مكتبة مبدولي، القاهرة، 1996م.

75.يحي جلال، **مصر الإفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر**، د.ط، دار المعارف، د.ب، 1984م.

76.يحي جلال، **مصر الحديثة (1517–1805م)**، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

2- المراجع الأجنبية:

1. Bernard Jean Louis, **Histoire Secrete de L'Egypt, S.E,** édition Albin Michel, Paris,1993.

2. Bret Patrice, **L' Egypt au temps de L' expedition (1798-1801)**,S.E , Hachette, Paris , SD.

3. Marriott J.A.R , **The Eastern Question An Historical Stady In European Diplomasy**,S.E,Oxford,1963

4. Tarlé Evguéni, **Napoléon**, T1, E 4, éditions de Moscou, Russe, 1947.

5. Williams Chris , **A Companion To Nineteenth-Century Britain**, The Historical Association, S E ،S D.

ج - المقالات

1- العربية

1. خوري جورج، " المصالح الاستعمارية البريطانية والحفاظ على الإمبراطورية العثمانية "، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع41-42، جامعة دمشق، 1992م.

2. راشد عبد المجيد، "تجربة محمد علي وبناء الاقتصاد المصري الحديث"، 2006 م.

3. سنو عبد الرؤوف، "العلاقات الروسية العثمانية(1687 -1878م) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية"، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، ، ح4، ع 79-80، بيروت، 1985م.

4. شاكر حميد محمود، "رد الفعل البريطاني تجاه محاولات التدخل الروسي في الثورة اليونانية (1821-1829م)"، **مجلة آداب البصرة**، ع45، د.ب، 2008 م.

5. العربيات غالب عبد أحمد وشنيكات خالد حامد طاهر، " الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام، (1831-1841م) قراءة جديدة في التدخل الدولي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع 117-118، ، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، 2012م.

6. علي بلال هدى، "الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه (1830-1841م)"، **مجلة الأبحاث كلية التربية أساسية**، مج10، ع3، جامعة الموصل، 2011م.

7. محمود صالح رمضان، "الصراع الانجليزي الفرنسي في مصر من(1863-1882م)"، **مجلة المؤرخ العربي**، ع7، د.ب، د.ت.

2- الأجنبية:

1. Alain Sainte-Marie, "La Tentative D'Industrialisations de L'Egypte Sous Mohammed ALI, Les Raisons d'Un échec, **Cahiers De La Méditerranée**, V8, Paris, 1994.

د-الرسائل والمذكرات:

1. حسنة كمال، **العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد سليم الثالث(1789-1807م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، عائشة غطاس، جامعة الجزائر، (2005 -2006م)، (مرقونة).

2. الدليمي إياد تركان إبراهيم، **اللورد هنري جون تميل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية (1830-1865م)**، مذكرة لنيل درجة دكتوراه، إشراف، لطفي جعفر فرج، الجامعة المستنصرية، 2012م، (مرقونة).

3. طار خيرة، **الرحالة الأوروبيين في الدولة العثمانية "Volney" نموذجا**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، إشراف، نادية طرشون، الجزائر، (2013/2012م)، (مرقونة).

4. عبد الهادي يسرى محمد، **أثر الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربية**، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف، عمر سالم بابكور، جامعة أم القرى، 2001م، (مرقونة).

5. نواصر عبد الرحمان، **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف، فتار حساني، جامعة غرداية، (2010-2011 م)، (مرقونة).

د- الموسوعات:

1. بالآمر آلان، **موسوعة التاريخ الحديث(1789-1954م)**، تر، سوسن فيصل السمرائي ويوسف أمين، د.ط، د.د.ن، بغداد، 1992 م.

2. العفيفي عبد الحكيم، **موسوعة 1000 حدث إسلامي**، ط1، بيروت، 1996م.

3. الكيالي عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، د.ط، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ب، 1985م.

4. مولا علي، **الموسوعة العربية الميسرة**، ط1، بيروت، 2010م.

هـ–المواقع الالكترونية:

1. بن علي ياسين، "خروج الوهابية على الخلافة العثمانية"، مجلة الزيتونة، د.ع ،2014م. انظر إلى الموقع: **www.azeytouna.net**.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة..... أ

المبحث الأول: مصر في السياسة الأوروبية قبل عصر محمد علي.

أولا: الرحلات الأوروبية نحو مصر..... 8

1–رحلة فولني..... 9

2–رحلة جون أنتيس..... 10

ثانيا: تنافس الدول الأوروبية في مصر..... 13

1– المصالح الفرنسية..... 13

2–المصالح البريطانية..... 16

ثالثا: الحملة الفرنسية على مصر1798–1801م..... 19

1–خلفيات الحملة الفرنسية..... 19

2–نتائج الحملة الفرنسية..... 22

أ–النتائج الحربية..... 22

ب– النتائج السياسية..... 23

ج– النتائج الاقتصادية..... 23

د– النتائج الاجتماعية..... 24

هـ– النتائج القومية..... 24

و– النتائج الدينية..... 25

ز– النتائج العلمية..... 25

المبحث الثاني: مصر في عهد الوالي محمد علي باشا.....

أولا: التجربة التحديثية في مصر 1805–1811م..... 28

1–ظروف مصر قبل تولية محمد علي باشا..... 28

2–توليته..... 29

3– إصلاحات محمد علي باشا..... 30

أ–المجال العسكري..... 30

ب–المجال الاقتصادي..... 31

ب–1–الميدان الزراعي..... 32
ب–2–الميدان الصناعي..... 32
ب–3 –الميدان التجاري..... 33
ج–المجال التعليمي..... 33
4–علاقاته الخارجية..... 34
أ–بريطانيا..... 34
ب–فرنسا..... 35
ثانيا: تحركات محمد علي التوسعية1811–1821م..... 36
1–تمرد الحركة الوهابية..... 36
أ–التدخل المصري لإخمادها..... 36
ب–المواجهة البريطانية المصرية..... 38
2–التوسع نحو السودان..... 40
أ– أسباب التوسع..... 40
ب–الموقف البريطاني..... 41
ثالثا: المواجهة الأوروبية المصرية1821–1830م..... 43
1–ثورة اليونانيين..... 43
أ–تمرد اليونانيين..... 43
ب–التدخل المصري..... 44
ج–الحراك الأوروبي..... 46
2–محمد علي ومشروع الفرنسي للسيطرة على الجزائر..... 49
أ–عرض المشروع..... 50
ب–إجراء المفاوضات..... 51
ج–فشل المشروع..... 52
المبحث الثالث: المسألة السورية من1831–1840م.....
أولا:الحملة المصرية على بلاد الشام..... 56
1–أسباب الحملة..... 56

أ–العوامل الإستراتيجية..... 56
ب–العوامل الشخصية:..... 56
ج–العوامل الاقتصادية..... 57
د–العوامل العسكرية..... 57
2–مواقف الدول الأوروبية من التدخل المصري..... 59
أ–المواقف الاولية..... 59
ب–تغيير المواقف البريطانية والفرنسية اتجاه التدخل الروسي..... 62
ثانيا: الصراع الأوروبي المصري1838–1839م..... 64
1–السياسة الاقتصادية المصرية..... 64
أ–المجال الزراعي..... 64
ب–المجال الصناعي..... 65
2–الحصار البريطاني لمصر..... 66
أ–مراحل الحصار..... 67
ب–انعكاسات حصار..... 69
3–حرب الشام الثانية ومواقف الدول..... 70
1–حرب الشام الثانية 1839م..... 70
أ–أسباب الحرب..... 70
ب–معركة النصيبين..... 72
2–مواقف الدول الأوروبية من الحرب..... 73
ثالثا:تسوية المسألة السورية..... 77
1–معاهدة لندن1840م..... 77
أ–عقد المعاهدة..... 77
ب– نتائج معاهدة لندن..... 81
2–معاهدة لندن الثانية1841م..... 82
أ– عقد المعاهدة..... 82
ب– نتائج المعاهدة..... 83

3–مصر بعد التسوية..... 84
أ– أوضاع مصر..... 84
ب–التدخل الأوروبي..... 85
ج–أواخر حكم محمد علي باشا..... 86
خاتمة..... 89
الملاحق..... 92
البيبليوغرافيا..... 97
فهرس المحتويات..... 108